البحث العاشر

الأمالي الدَّعْوية

في كتاب أمالي أبي علي القالي

إعداد الدكتورة

زلفى أحمد محمد الخراط

الأستاذ المشارك بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة القصيم

المملكة العربية السعودية

الأمالي الدَّعْوية في كتاب أمالي أبي علي القالي

زلفى أحمد محمد الخراط

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة القصيم، السعودية

البريد الالكتروني: zzsmm١٩٧٨@gmail.com

الملخص:

يهَدف البحثُ إلى التنبيه على أهمية الإعداد البياني للداعية، إضافة إلى الإعداد الشرعي اللازم له؛ وذلك لأنه يخاطب الجمهور بما يمتلكه من علوم شرعية، وقدرات بيانية، وكذلك أهمية تنويع مادة الداعية التي يتصل من خلالها بالمدعوين، وبذلك يكون من اللازم أن يتجهز بما يدفع السآمة عن المتلقّي؛ ليكون في خطابه أشكال البيان وأجناسه الرائقة، وأيضا لفْت نظر الباحثين في علوم الدعوة إلى أهميه النَّهْل من مصنفات علوم الأدب واللغة للتوسع في ثقافتهم، ومخزونهم العلمي، واستخدمتُ في هذا البحث المنهج الاستقرائي وهو "ما يقوم على التتبُّع لأمور جزئية؛ لاستنتاج أحكام عامة منها، والمنهج الاستنباطي، والمنهج التحليلي، ومن أبرز النتائج التي خرجتُ بها من هذه الدراسة: ضرورة استفادة الداعية من كتب الأدب العربي الفصيح، واستقراء ما فيها من أخبار بليغة تُقَوّم لسانه، وتهذّب جَنانه، فتغدو مَلَكَته اللغوية أكثر غَناءً، وأوسع ثراءً، وكذلك أهمية تعلّم الداعية للأساليب البليغة في الدعوة إلى الله، واستخدامها في الخطاب الدعوي، وأيضا حِرصُ الداعية على تطوير ذاته، وتأهيلِ نفسه في مختلف الجوانب العلمية والثقافية والبيانية، مع تأكيد التوازن في كل جانب، وكذلك اهتمام الداعية بالجانب الإيماني؛ لأنه الأساس الذي ترتكز عليه دعوته وتقوم عليه، ومنها: تأكيد التزام الداعية بالجانب الأخلاقي؛ لأثره العميق في إنجاح الدعوة،

واستمالة المدعوين واستجابتهم، وأن الموعظة الحسنة والرسالة وخطبة الجمعة نماذج لوسائل دعوية ناجعة لها أكبر الأثر في وصول الدعاة إلى ما يرومونه من غايات سامية، ثم العناية بعلاقة الداعية بالمجتمع دعاةً ومدعوين، والحرص على تطوير هذه العلاقة، وحمايتها مما يكدّرها أو يسيء إليها، وأوصي الدعاة بأن يهتموا بقراءة الكتب الأدبية التي تقوّم ألسنتهم، وتُثري لغتهم العربية، وتطور مَلَكاتهم الأدبية في التعبير اللفظي والكتابي، ليكون أثرهم الدعوي أعمق وأوسع، كما أوصي الباحثين في علم الدعوة بدراسة كتب الأدب العربي، والإفادة منها من حيث أسلوبها البليغ، وما فيها من أخبار تساهم في تطوير المجال الدعوي، وأن يكون في مناهج كليات الدعوة مثل هذه الكتب الأدبية اللغوية التي تعرض نصوص البلغاء الفصحاء في موضوعات تتصل بالأفراد والمجتمعات.

الكلمات المفتاحية: الدعوة، المدعو، الأمالي، القالي.

The preaching hopes in the book Amali Abi Ali Al-Qali

Zulfi Ahmed Muhammad Al-Kharrat
Department of Islamic Call and Culture, College of Sharia and Islamic Studies, Qassim University, Saudi Arabia
E-mail: zzsmm١٩٧٨@gmail.com

Abstract;

The research aims to highlight the importance of the preacher's graphic preparation, in addition to the necessary legal preparation for it. This is because he addresses the audience with his legal knowledge and eloquent abilities, as well as the importance of diversifying the preacher's material through which he communicates with those invited, Thus, it is necessary to be equipped with something that will ward off boredom from the recipient. In order for his speech to have elegant forms and types of statement, and also to draw the attention of researchers in the sciences of advocacy to the importance of drawing from the works of the sciences of literature and language to expand their culture and scientific stock, and in this research I used the inductive method, which is "what is based on tracking partial matters to deduce general rulings from them. The deductive method and the analytical method. Among the most prominent results that emerged from this study are: It is necessary for the preacher to benefit from the books of eloquent Arabic literature, and to extrapolate the eloquent information in them that will straighten his tongue and refine his mind, so that his linguistic skill becomes richer and richer, as well as the importance of the preacher learning the eloquent methods of calling to God, and using them in the preaching discourse, and also the preacher's keenness to Developing himself and qualifying himself in various scientific, cultural and graphic aspects, while ensuring balance In

every aspect, as well as the preacher's interest in the faith aspect, Because it is the basis on which his call is based and based, including: confirming the preacher's commitment to the moral aspect; Because of its profound impact on the success of the call, and in winning over those invited and their response, and that the good sermon, the message, and the Friday sermon are examples of effective means of advocacy that have the greatest impact on the preachers reaching the lofty goals they desire, then taking care of the relationship of the preacher with the community, preachers and invitees, and being careful to develop this relationship, and protect it from what disturbs it. or insult her, I advise preachers to pay attention to reading literary books that improve their tongues, enrich their Arabic language, and develop their literary talents in verbal and written expression, so that their advocacy impact is deeper and broader. I also recommend researchers in the science of advocacy to study Arabic literature books and benefit from them in terms of their eloquent style and the content they contain. News that contributes to the development of the field of advocacy, The curricula of advocacy colleges should include such literary and linguistic books that present texts by eloquent rhetoricians on topics related to individuals and societies.

Keywords: Invitation, Invited, Al-Amali, Al-Qali.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، خيرِ الأئمة والدعاة، وسيّدِ أهل الفصاحة والبيان، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

تبوّأت البلاغة والفصاحة مكانةً رفيعةً في التأثير في نفس المدْعُوّ، واستمالة قلبه، وإقناع عقله بما يتفوّه به الداعيةُ من مضمون شرعي، انبرى لتقديمه، واعتنى بصياغته بأبهى حلة، وأبلغ صورة، وأبدع بيان. والداعيةُ كلما بذل جُهدَه بجودة ذاك المضمون، وصل إلى مبتغاه بأعمق تأثير، وأفضل نِتاج، ولاسيما إن كان جمهوره الدعوي من الطبقة المثقفة المهتمة بالجانب البياني الرائق.

وإن استقراء أحداث السيرة النبوية يوضّح للدعاة بجَلاء احتفاء رسول الله ﷺ بالشعراء والبلغاء والفصحاء، كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة. ومصنفات السنة الصحيحة زاخرة بالأمثلة الوفيرة الدالَّة على أن رسول الله ﷺ كان يعتدّ بشعرائه، وهم يشاركون في الذبّ عن حياض الإسلام والدفاع عن الدعوة، وكان ﷺ يُعجب بالبيان الرائق، وسوف نستعرض أمثلة من ذلك في ثنايا البحث. وفي هذا دليل بارز على اهتمامه عليه الصلاة والسلام بجانب بليغ القول، واعترافٌ منه بقوة تأثيره، وعمق نتائجه.

وكتب الأدب العربي تتضمّن نصوصاً غزيرة، من أخبار البلغاء، وما صاغه الفصحاء، يجدر بالدعاة العنايةُ باستقرائها، واستنباط ما تحويه من شواهد يمكن الإفادة من بلاغة نصوصها وفصاحتها. وكتاب "أمالي القالي" نموذج لمصنف أدبي بليغ غنيّ بنماذجَ عالية، ونتاج فصيح، عالج متنوع الموضوعات الاجتماعية والأدبية والدعوية.

مشكلة البحث:

من لوازم الدعوة وعوامل نجاحها أن يتّسِم خطابُ الداعية بالجاذبية، والقدرة على استمالة المدعوّين إلى توجيهات الداعية؛ لذا يضع الداعية نصب عينيه العناية بالإعداد البياني الجيد لخطابه، إلى جانب الإعداد العلمي له. ومن طرق صقل شخصية الداعية اللغوية، وتحسين جودة تعبيره البيانية، وتنويع مادته العلمية، الاطلاع على مصنفات علوم الأدب واللغة، والنّهل مما فيها من ثراء أدبي، وغَناءٍ علمي.

وكتاب "أمالي القالي" من الكتب الغنية بالنصوص الأدبية الدعوية التي يحتاج إليها الداعية في مسيرته، وإن تحليل ما فيه من قضايا دعوية يساهم في إعداد الدعاة وتأهيلهم علمياً وأدبياً.

أهداف البحث:

هَدَف البحثُ إلى تحقيق ما يلي:

١- التنبيه على أهمية الإعداد البياني للداعية، إضافة إلى الإعداد الشرعي اللازم له؛ وذلك لأنه يخاطب الجمهور بما يمتلكه من علوم شرعية، وقدرات بيانية.

٢- أهمية تنويع مادة الداعية التي يتصل من خلالها بالمدعوين، وبذلك يكون من اللازم أن يتجهز بما يدفع السآمة عن المتلقّي؛ ليكون في خطابه أشكال البيان وأجناسه الرائقة.

٣- لفْت نظر الباحثين في علوم الدعوة إلى أهميه النَّهْل من مصنفات علوم الأدب واللغة للتوسع في ثقافتهم، ومخزونهم العلمي.

تساؤلات البحث:

١- كيف تناول القالي صلة الداعية بالله تعالى في كتابه الأمالي؟

٢- كيف تحدث القالي عن الإعداد العلمي للداعية في كتابه الأمالي؟

٣- ما أهم الأخبار التي تحدثت عن الإعداد الخلقي للداعية في كتاب الأمالي؟

٤- كيف تناول كتاب الأمالي بعض وسائل الدعوة إلى الله؟

٥- ما أهم المواضع التي تحدثت عن علاقة الداعية بالدعاة والمدعوين في كتاب الأمالي؟

الدراسات السابقة:

وقفتُ على عدد من الدراسات العلمية التي عُنيت بكتاب "أمالي القالي"، ودَرَسَتْه، ومنها:

١- **آراء أبي علي القالي اللغوية في أماليه في ضوء علم اللغة الحديث**، للباحثة نعيمة روابح، وهي رسالة ماجستير من رسائل جامعة الحاج لخضر في باتنة في الجزائر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، وقد درستْ الباحثة في بحثها في أمالي القالي أغلب فنون اللغة على اختلاف أنواعها، واستقرأتْ هذا الكتاب، وأجْلَت ما فيه من قضايا الصوتيات، وقضايا الصرف، وقضايا الدلالة والمعجم.

٢- **الجهد النقدي في أمالي القالي**، للدكتور ثائر المياحي، وهو بحث قدّمه لمجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، وفيه أبان الباحث جهد القالي في النقد الأدبي في كتابه الأمالي، وذلك بتأمل القضايا النقدية التي تعرّض لها القالي، وخَلُص إلى أنه كان قريباً من آراء النقاد القدماء؛ بفعل ما امتلكه من ثقافة دلّت عليها مادته الخصبة في أماليه.

٣-**إصلاح أمالي القالي وما أُلحق به**، للأستاذ صبحي البصام. والبحث دراسة قدَّمها الباحث لمجلة مجمع اللغة العربية الأردني، وقد سعى فيه إلى تقديم فوائد أدبية ولغوية، أراد بها إصلاح ما وقع من غلط في كتب القالي، وهي الأمالي والذيل والنوادر، وآثر الإيجاز في هذه الفوائد، ولم يُطل إلا بما يستحق الإطالة.

ولم أقفْ على دراسة علمية سلّطت الأضواء على دراسة مسائل علم الدعوة في كتاب أمالي القالي، وكل ما اطّلعتُ عليه كان دراسات وأبحاثاً درست هذا الكتاب من نواحٍ أخرى تختلف عن الدراسة الدعوية التي أنا بصددها في هذا البحث.

حدود الدراسة:

اخترتُ كتاب "أمالي القالي" لدراسة ما نُثِر فيه من قضايا دعوية، ولم أدرس في بحثي هذا ما يتعلق بالجوانب الدعوية في كتابٍ أدبي آخر.

منهج البحث:

استخدمتُ في هذا البحث المناهج التالية:

١- **المنهج الاستقرائي:** وهو "ما يقوم على التتبُّع لأمور جزئية؛ لاستنتاج أحكام عامة منها"(١) وهو "عملية ملاحظة الظواهر وتجميع البيانات عنها للتوصّل إلى مبادئ عامة وعلاقات كلية"(٢).

٢-**المنهج الاستنباطي:** وهو "ما يقوم على التأمل في أمور جزئية ثابتة؛ لاستنتاج أحكام منها"(٣)، وهو "منهجٌ أسلوبه الشرح والنظر والتفكر والتأمل والتحليل، وينتقل من الكل إلى الجزء، أو من العام إلى الخاص"(٤).

٣- **المنهج التحليلي:** وهو "ما يقوم على وصف منظم ودقيق لنصوص مكتوبة

---

(١) البحث العلمي، حقيقته ومصادره ومادته ومناهجه وكتابته وطباعته ومناقشته، عبد العزيز الربيعة، ١٧٨/١، ط٢، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٨هـ.

(٢) مناهج البحث العلمي، د. محمد سرحان المحمودي، ص٧٤، دار الكتب، اليمن، صنعاء، ط٣، ١٤٤١هـ/٢٠١٩م.

(٣) البحث العلمي، حقيقته ومصادره ومادته ومناهجه وكتابته وطباعته ومناقشته ١٧٨/١.

(٤) مناهج البحث العلمي ص٧٤.

أو مسموعة من خلال تحديد موضوع الدراسة وهدفها، ويهدف إلى تحليل المحتوى الظاهري أو المضمون الصريح للظاهرة المدروسة ووصفها وصفاً موضوعياً ومنهجياً"[١].

منهج الباحث:

١- قمتُ باستقراء قضايا الدعوة التي برزت في كتاب "أمالي القالي"، ونظرتُ فيها، وتأمَّلتُها؛ لاستنباط أهم قضايا علم الدعوة التي ذُكرتْ فيه. واعتمدتُ على طريقة الاختيار والانتقاء من الأمالي، ولم أهدف إلى حصر جميع الأخبار التي ذكرها القالي، والتي تناولت قضايا الدعوة؛ لأن في ذلك إطالة كبيرة للبحث.

٢- ولقد بذلتُ وسعي في استنباط الفوائد الدعوية وتحليلها من النماذج المختارة من كتاب "الأمالي"، ولم أُسهبْ في الاستشهاد عليها من نصوص الوحيين أو كلام العلماء؛ خشية إطالة البحث في الحديث عن أمور تُعدّ معلومة ومشهورة عند الدعاة.

٣- وقد خرّجْتُ الأحاديث النبوية من مظانّها، فإن كان الحديث في الصحيحين اكتفيتُ بالإشارة إلى صفحته ورقْمه، وإن كان في غير الصحيحين أشرتُ إلى أقوال العلماء في الحكم عليه، كما وثّقتُ النقول التي نقلتُها عن العلماء من مظانّها الأصلية، وحصرتُ كل نقل بين علامتي تنصيص، وقد أُلخّص القول بأسلوبي من غير نقلٍ حرفي، فأُشير بالحاشية إلى الكتاب بكلمة "انظر"، وحرصتُ على تقسيم البحث إلى مباحث دون الفصول؛ لأن مصطلح "الفصل" عادة تكون صفحاته أطول عدداً، وذيَّلتُ البحث بتفصيل معلومات الطباعة لقائمة المراجع التي عدتُ إليها مرتبةً ترتيباً هجائياً. وآثرتُ أن أُفصّل في توثيق المرجع العلمي عند إفادتي منه أولَ وروده، وإن ورد مرة ثانية اكتفيت بذكر عنوانه. وعُنيتُ بضبط مُشكل النص، وأوردتُ الآياتِ الكريمةَ وَفق

(١) المرجع السابق ص٦٠.

الرسم العثماني من مصحف المدينة النبوية. لم أترجم للأعلام المشهورين؛ كيلا أثقل الحواشي، ورتَّبتُ الحواشي حسب وفاة أصحابها.

خطة البحث:

المقدمة، وتشتمل على: أهمية الموضوع، وأهدافه، والتساؤلات، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

التمهيد ويشتمل على: التعريف بالإمام أبي علي القالي وكتابه الأمالي، وأهمية الإعداد البياني للداعية.

المبحث الأول: صلة الداعية بالله تعالى في كتاب الأمالي.

المبحث الثاني: الإعداد العلمي للداعية في كتاب الأمالي.

المبحث الثالث: الإعداد الخلقي للداعية في كتاب الأمالي.

المبحث الرابع: وسائل الدعوة إلى الله في كتاب الأمالي.

المبحث الخامس: علاقة الداعية بالدعاة والمدعوين في كتاب الأمالي.

الخاتمة، والنتائج، والتوصيات.

التمهيد

أولا: التعريف بالإمام أبي علي القالي، وكتابه الأمالي[1]

أ - التعريف بالإمام أبي علي القالي

وُلد أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغداديّ سنة (٢٨٨هـ)[1]، عند جمهور

(١) انظر في ترجمته: تاريخ علماء الأندلس، ابن الفرضي، عني بنشره؛ وصححه؛ ووقف على طبعه: السيد عزت العطار الحسيني، ٨٣/١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، الأنساب، عبد الكريم بن محمد السمعاني، ٣١١/١٠، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ط١، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م، إنباه الرواة على أنباه النحاة، علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ١/ ٢٣٩، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٢م، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، ٢/ ٧٢٩، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٣٠٠/٤، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، ٢٢٦/١، دار صادر، بيروت، ١٩٠٠/ ١٩٩٤م، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، ٢٦/ ١٣٨، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد الذهبي، إشراف: شعيب الأرناؤوط، ٤٥/١٦، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ١٥/ ٣١١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٨هـ /١٩٩٧م، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، أحمد بن محمد المقري، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٠٠/١٩٩٧م. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، أحمد بن محمد المقري، تحقيق إحسان عباس، ٧٢/٣ دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٠٠/١٩٩٧م، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي الحنبلي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، ٤/ ٢٩٠، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر بن عاشور، جمعها وقرأها ووثقها: محمد الطاهر الميساوي، ١٧٤٥/٤، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

الذين ترجموا له. بَيْدَ أن الذهبي ذكر أن مولده كان سنة (٢٨٠هـ)[٢]، وكان ميلاده في بلدة (مَفارْ جِرْد)[٣]، من أعمال ديار بكر على الفرات الشرقي. ويذكرون أنَّ جَدَّه الخامسَ سلمانَ كان مولى للخليفة الأمويّ عبدِ الملك ابن مروان[٤]، وقد نُسِبَ أبو علي إلى بلدة (قالي قلا)، وهي من أعمال أرمينيةَ؛ لأنه صاحَبَ جماعةً من هذه البلدة وهم متوجّهون إلى بغداد، وبقي على هذه النّسبة حتى عُرِف بها[٥]، وكان البلدة ثغراً من ثغور المسلمين، وفيها مرابطون[٦].

رَحَل إسماعيلُ لطلب العلم في سنّ مبكرة إلى بغداد، وكان ابن خمسَ عشرةَ سنةً، وذلك في سنة (٣٠٣هـ)[٧]. وكانت بغدادُ آنذاك مَوئلاً خِصباً لأساطين العلوم العربية والإسلامية. ومضى الفتى يَنْهَلُ من علوم مُدّةَ حمس وعشرين سنةً، وذاع أَمْرُ حِفْظه ونباهتِه، فكتب إليه حاكم قرطبة الأمويّ في بلاد الأندلس عبد الرحمن الناصر، يَدْعوه للقدوم إليها، فاستجاب له، ويمَّم شطر قرطبة سنة (٣٢٨هـ)[٨]، وعند ابن كثير أنه دخلها سنة (٣٣٠هـ)[٩].

لَقِيَ المهاجرُ البغداديُّ أبو عليّ القاليّ ترحيباً كبيراً، وحَفاوةً بالغةً من جانبِ

---

(١) إنباه الرواة على أنباه النحاة ١/ ٢٣٩

(٢) تاريخ الإسلام ٢٦/ ١٣٨

(٣) إنباه الرواة على أنباه النحاة ١/ ٢٣٩، البداية والنهاية ١٥/ ٣١١، وانظر في التعريف بها: معجم البلدان ٤/ ٣٠٠

(٤) وفيات الأعيان ١/ ٢٢٦

(٥) الأنساب ٣١١/١٠، وفيات الأعيان ١/ ٢٢٦

(٦) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ٢/ ٧٢٩

(٧) إنباه الرواة على أنباه النحاة ١/ ٢٤٢

(٨) المرجع السابق ١/ ٢٤٣

(٩) البداية والنهاية ١٥/ ٣١١

أميرها الناصر، وابنه المستنصر[١]، إذ أولَياهُ منزلة رفيعة، وأغدقا عليه من المَكْرُمات والتبجيل القدْرَ الوفيرَ.

كانت السنوات الممتدة التي قضاها في قرطبة مصدرَ علمٍ غزير؛ بما صَنَّف من مصنفات، وما عَقَدَ من مجالسَ علمية مع تلاميذه الأندلسيين، الذين روَّى ظَمَأَهم المعرْفيّ بعلوم المشرق وثقافتِه الواسعة[٢]، وتَسَلسُل الأسانيد المتصلة بعلوم اللغة، ورواية الشعر في القرون المتلاحقة. وقد فصَّل في هذا الإنجازِ الوفير صاحبُ "نفح الطيب"[٣]، كما تحدث الدكتور إحسان عباس عن النهضة العلمية التي حقّقها القالي بعد وصوله إلى بلاد الأندلس[٤]؛ إذ احتشد في مجالسه الطلبةُ من ذوي الثقافات المختلفة، كما كانت مصنفاتُه بغداديّة الروح، أندلسيةَ الوَضْعِ، وتتمتَّع بمنزلة عالية في الأوساط العلمية، إذ أصبحت الرواية في علوم العربية راجعةً إليه، وقد اتخذ الأندلسيون نِتاجَه حُجَّةً ومرْجِعاً[٥].

ومن كتبِ أبي علي القالي[٦]: كتاب "المقصور والممدود" و"شرح السبع الطوال" وهي قصائد المعلقات الجاهلية، وكتاب "فَعَلْتُ وأَفْعَلْتُ". ويعني بهذا البناءِ ما جاء عن العرب من الأفعال بالثلاثي المجرّد، وزيادة الهمزة نحو: شاد، وأشاد، و"كتاب الإبل"، و"كتاب البارع" في اللغة ولم يُتِمّه، وهو معجمٌ لُغويٌّ على الحروف، وَصَلَنا منه قطعةٌ يسيرة، وهي مطبوعة،

(١) سير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٥

(٢) جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر بن عاشور ٤/ ١٧٤٥

(٣) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ٣/ ٧٢

(٤) تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، د. إحسان عباس، ص٤٤، دار الثقافة، بيروت، ط١، ١٩٦٠م.

(٥) وفيات الأعيان ١/ ٢٢٦

(٦) وهو مطبوع بتحقيق د. أحمد عبد المجيد هريدي

ويقولون[١]: إنه في (٥٠٠٠) ورقة. وعند ياقوت[٢]: "وهو في مئة مجلد لم يصنّف مثله في الإحاطة والاستيعاب"، بالإضافة إلى كتاب "الأمالي". وذكر المؤرخون أنه كان يَرْتَجِل كتبه، ويُمْليها عن ظهر قلب[٣].

وتحدّث ياقوت الحموي عن بعض كتب أبي علي فقال: "وفد القالي إلى الغرب في سنة ثلاثين وثلاثمائة، فأكرمه صاحب الغرب وأفضل عليه إفضالاً عَمّه، وانقطع هناك بقية عمره، وهناك أملى كتبه أكثرُها عن ظهر قلب: منها كتاب الأمالي، معروف بيد الناس كثير الفوائد، غاية في معناه؛ قال أبو محمد ابن حزم: كتاب نوادر أبي علي مُبَارٍ لكتاب "الكامل" الذي جمعه المبرد، ولئن كان كتاب أبي العباس أكثر نحواً وخبراً، فإن كتاب أبي علي أكثر لغة وشعراً"[٤].

وقد نَهَلَ أبو علي من طائفةٍ واسعةٍ من العلماء ذوي الشهرة الواسعة، الذين ينتمون إلى تخصُّصات متعددة[٥]. وكانت مرحلة الطَّلَبِ لديه في أثناء مكوثِه في العراق غنيةً بهؤلاء العلماء: ففي القراءات تلا على أبي بكر بن مجاهد قراءةَ أبي عمرو بن العلاء. وفي الحديث أخذ عن أبي القاسم البَغَويّ الحنبليّ تلميذِ الإمام أحمد، وعن أبي بكر بن أبي داود السّجستاني، وأبي يعلى الموصِلي، وفي علوم العربية أخذ عن الزجّاج والأخفش الصغير وابن السراج وابن دُرُسْتُوَيْه وأبي بكر الأنباري وابن دُرَيد وغيرِهم.

(١) وفيات الأعيان ١/ ٢٢٦

(٢) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ٢/ ٧٣٠

(٣) إنباه الرواة على أنباه النحاة ١/ ٢٤٣، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ٢/ ٧٢٩

(٤) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ٢/ ٧٣٠

(٥) إنباه الرواة على أنباه النحاة ١/ ٢٤٣، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٥

أما تلامذته في بغداد[١] فيذكرون منهم محمد بن الحسن الزُّبيديّ صاحب "مختصر العين"، وأبا محمد عبد الله بن الربيع التميمي، وأحمد بن بانٍ. ومن تلاميذه الأندلسيين القاضي منذر بن سعيد البلّوطي[٢]، ومحمد بن إبراهيم القُرشي[٣]، وعبد الله بن أصبغ المعروف بالصَّنَّاع[٤].

وما يزال أبو علي يُلقي دروسَه، وينشُر معارفَه إلى أن توفي في ربيع الآخر سنة (٣٥٦هـ) في مدينة قرطبة[٥]، التي قضى فيها خمساً وعشرين سنة بعد رحيله من بغداد.

وكم من الفوائد سيجنيها الدعاة من الاطلاع على تراجم علماءٍ أفاضل من مثل أبي علي القالي، بذلوا جهوداً طيبة في طلب العلم، ثم أداء زكاته بتدريسه، وبذْلِه لمستحقيه من طلبة علم في أصقاع المعمورة، فجزاهم الله عنا خير الجزاء وأوسعه.

ب - التعريف بكتاب الأمالي: أهميته ومضمونه

يأتي كتاب الأمالي على رأس المصنفات التي اشتُهر بها أبو علي القالي؛ نظراً لِمَا تضَمَّنه من نصوص شعرية ونثرية، تنتمي إلى صميم الأدب العربي الأصيل الذي يمنح دارِسَه فوائدَ جَمَّة تعود إلى المعاني التربوية والتعليمية، وتُهذّب اللسان، وترتقي بالقلم إلى الأساليب الفصيحة، وتُنشِئ مَلَكَة التعبير الصحيح الذي يَصوغُ التكوين الثقافي المتعدد الاتجاهات.

يقول أبو علي في مقدمته: "لمَّا رأيت العِلْمَ أَنْفَسَ بضاعة، أيقنتُ أن طلبه أفضل

(١) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ٢/ ٧٢٩

(٢) جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر بن عاشور ٤/ ١٧٤٥

(٣) تاريخ علماء الأندلس ٨٧/١

(٤) المرجع السابق ٢٧٧/١

(٥) الأنساب ٣١٢/١٠

تجارة؛ فاغتربتُ للرواية، ولزِمتُ العلماء للدراية"[١]، وتحدث عن جَمْعِه للعلم، وانشغاله بحفظه إلى أن "حَوَى خطيره، وأحرزَ رفيعَه، وعَلِم غامضه، وصانه بالكتمان عمَّن لا يعرف مقداره، وأراد أن يُودِعه مَنْ يستحقه، فأملى هذا الكتاب من حِفْظه بقرطبة، في المسجد الجامع بالزهراء المباركة، وأودعه فنوناً من الأخبار، وضروباً من الأشعار، وأنواعاً من الأمثال، ولم يُخْلِه من غريب القرآن، وحديث الرسولﷺ [٢].

وتميزتْ نصوص الكتاب بالعناية الفائقة بإيراد الأسانيد متسلسلةً، وقد اعتمدها أبو علي في روايتها عن أئمة العربية أمثال: أبي بكر بن الأنباري وأبي بكر بن دريد، وأبي حاتم السَّجستاني. وقد اكتسب الكتابُ عنوانَه من واقع روايته وطريقتها. وينطبق هذا الإملاءُ على نصوصه النثرية والشعرية، ثم على تفسير ما فيها من نِكات وتحليل. وقد استنتج الباحثون من ذلك بأن القالي كان له أثر واضح في نشأة المدرسة الأندلسية ونَهْضَتها في القرن الرابع الهجري[٣]. وقد أبان هذا الكتابُ عن صفة العمق والإفاضة والوفرة العلمية لعلماء المشرق، ممَّا جعل علماء الأندلس يَعْتَدُّون بهذه الوفرة، ويُعْلُون مِنْ شأنها.

والكتاب مما أملاه الأستاذ أبو علي على طلابه الذين كانوا يحتشدون يومَ الخميس في المسجد الجامع بالزهراء في قرطبة[٤].

امتلك القالي ذوقاً مُرهَفاً في اختيار مادة الكتاب، ويُحس القارئ برقيّ المعاني، وسبك المباني، فتتعزَّز الفائدة من مطالعة هذه النصوص، فهي تغذّي الفكرَ والقلب، وتُجوّد أسلوب التعلّم في التعبير.

---

(١) أمالي القالي، أبو علي القالي، ١/١، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٤٤هـ /١٩٢٦م.

(٢) المرجع السابق ١/ ٣

(٣) علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي، ص٩١، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

(٤) جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور ٤/ ١٧٤٥

وأما محتوى الكتاب فيأتي تحليل مواد غريب القرآن ضمن عناية المؤلف، إذ يبدأ أبو علي بسَرْد آية من كتاب الله، ثم يختار منها لفظة يراها غريبة، فيعرض لأقوال السلف في معناها، ثم يستشهد بالشعر العربي الفصيح، وأقوال العرب، على معنى هذا الغريب. وقد يذكر أكثر من وَجْه لمعنى اللفظ(١). ومثالُ ذلك ما عرضه في مادة "نسأ"، إذ يقول: "قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [التوبة: ٣٧] النَّسِيء: التأخير. والعرب تقول: نَسَأ الله في أجَلك، وأنسأ الله أجَلك، أي أخَّر أجَلك. واستشهد بالحديث: "مَن سرَّه النَّساء في الأجل، والسّعة في الرزق، فلْيَصِل رحمه"، يُقال: بِعْتُه بنَساءٍ وبنسيئة، أي: بتأخير. وتحدَّث عن عادة بعض قبائل العرب في التلاعب بالأشهر الحرم، فيُقدّمون ويُؤخّرون بحسب هواهم، واستشهد بقول الشاعر:

ألَسْنا النَّاسئين على مُعَدّ شهورَ الحِلّ نجعلُها حراما(٢).

وبذلك يكون كتاب أمالي القالي رائداً من روّاد كتب غريب القرآن، إذ يمدُّها بالشواهد المناسبة من أقوال السلف، وأشعار العرب وأقوالهم، وقد أمدَّ علماء الغريب بوافر علمه وتحليله.

وفي كتاب "الأمالي" نصوص من الحديث الشريف اختارها أبو علي، وشرح غريبها، واسْتشهد عليها بشواهدَ من الشعر الفصيح وأقوال العرب. ومن ذلك شرح قوله ﷺ: "إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، وأبغضكم إلي

(١) انظر أمثلة من غريب القرآن المواد التالية: أنسأ ٤/١، لحن ٤/١، حرد ٧/١، أمر ١٠٣/١، صمد ٢٨٨/٢، دين ٢٩٥/٢، حصر ٣٠٦/٢، مرج ٣١٠/٢

(٢) أمالي القالي ١/ ٤.

وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون" قالوا: يا رسول الله! قد عرفنا الثرثارين والمتشدقين، فمن المتفيهقون؟ قال: "المتكبرون" قال اللغويون: الثرثارون: الذين يُكثرون القول، ولا يكون إلا قولاً باطلاً، ويقال: نهر ثرثار إذا كان ماؤه مصوتاً كثيراً، ومطر ثرثار، وسحاب ثرثار، وناقة ثَرَّة إذا كانت غزيرة اللبن، وسحابة ثرة، كثيرة المطر، وعين ثرة: كثيرة الدموع، ويقال: ثَرَرْتُ الشيء وثرثرته إذا فرقْتَه وبددته، وقيل: المُتَفَيْهِقُ الذي يتسع شِدْقُه وفُوه بالكلام الباطل، وأصله من الفَهَق وهو الامتلاء"(١).

وممّا اشتمل عليه الكتابُ ما اقتبسه من الوصايا النافعة وكلام الحكماء، الذين يُوجزون أقوالهم في رصدِ تجاربهم في الحياة، فيُقَدّمون عُصارتها. ومن ذلك: "اعلم أن الناصح لك، المُشْفِقَ عليك مَنْ طَالَع لك ما وراء العواقب"(٢). وقول الحكيم: "عليك بدِينك، ففيه مَعادك، وعليك بمالك، ففيه معاشُك، وعليك بالعلم، ففيه زَيْنُك"(٣). وفي "الأمالي" قَدْرٌ وفيرٌ من الأمثال العربية الفصيحة(٤)، كما تضمّن نصوصاً نثرية تمثّل خُطَبَ أشراف العرب في محافلهم(٥)، من خلال مناسبات وأحداث سالفة.

وتضمّن أخباراً تاريخية متفرقة، وقد عُني بأخبار بني أمية(٦)، كما تعرّض أبو علي لبعض القضايا الاجتماعية الأُسْرية التي تحدث في المجتمعات العربية. ومن ذلك

(١) انظر أمثلة من الأمالي على غريب الحديث: ٨/١، ١٠/١، ٩٦/١، ٦٧/٢، ٢٨٨/٢، ٢٩٦/٢.
(٢) أمالي القالي ١/ ١٩٤
(٣) المرجع السابق ١/ ١٩٥
(٤) انظر أمثلة من الأمالي ١/ ١٤٠، ١٥١، ١٦٨، ١٧٥، ٥١/٢
(٥) انظر أمثلة من الأمالي ١١/١، ٥٤/٢-٥٥، ١٠٠
(٦) انظر أمثلة من الأمالي ١/ ١٤٠، ١٥١، ١٦٨، ١٧٥، ٥١/٢

الحديث عن رابطة الزوجية[١]، وأهمية الأصدقاء، والدعوة إلى صلة الأرحام، والحديث عن الصفات التي ينبغي التحلّي بها، كالصبر والحزم، والأمانة والرفق.

وقد حظِي كتاب "الأمالي" بعالم مُتقِنٍ، هو أبو عُبيد عبد الله بن عبد العزيز البكريّ المتوفى سنة (٤٨٧هـ) فنهض بشرحه، وسَمَّى شَرْحَه "سِمْط اللآلي في شرح أمالي القالي"، يقول في مقدمته: "هذا كتاب شرحتُ فيه من النوادر التي أملاها أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي، ما أغفل، وبيّنتُ من معاني منظومها ومنثورها ما أشْكل، ووصلتُ من شواهدها وسائر أشعارها، ما قَطَعَ، ونسبتُ من ذلك إلى قائليه، ما أهْمل، ونبّهتُ على ما وَهَم فيه تنبيهَ مُنْصِف، لا مُتَعَسّف ولا معاند، محتجٌّ على جميع ذلك بالدليل والشاهد"[٢]. وقد ألحق البكري في سمطه "ذيل الأمالي" و"النوادر" وكلاهما لأبي علي، وتجْتمع الكتب الثلاثة اجتماعاً وثيقاً في المادة العلمية[٣].

وإن الداعية لَيَحْرِص على تنويع موارده التي يستقي منها لدعم مسيرته الدعوية إلى الله، إذ يضيف إلى مطالعاته العلمية ما يدفع إلى ترقية أسلوبه ومجامع خطابه؛ ليكون له في ذلك زاد يؤثر في جمهوره المتلقّي. وقد حَفَل كتاب أمالي القالي بنصوص غزيرة يمكن الداعيةَ أن يستعين بها في خطابه الدعوي، ويتخذها مادة له يستشهد بها، يضيفها إلى مخزونه المتنوع في مجال الدعوة إلى الله، بالإضافة إلى ما يستفيد منه في دعم بيانه، وصَقْل لسانه وقلمه بالأساليب الأدبية البديعة في جودة العبارة، وجزالة المباني.

---

(١) انظر أمثلة من الأمالي ١/ ٢٢١، ١٠٥/٢، ٢١٤/١، ٢١٣/١، ٣٠٤/٢

(٢) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، شرح أبو عبيد البكري، ٣/١، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م.

(٣) مناهج التأليف عند العلماء العرب، مصطفى الشكعة، ص٢٧٧-٣٠١، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٤م.

ثانيا: الإعداد البياني للداعية

البيان لغة: "الفصاحة واللَّسَن، وفلانٌ أَبْيَنُ من فلانٍ، أي أفصح منه، وأوضح كلاماً"(١)، وجاء في لسان العرب: "البَيان إِظْهَارُ الْمَقْصُودِ بأَبلغِ لفظٍ، وهو من الفَهْم، وذكاءِ القلْب مَعَ اللَّسَن"(٢). أما البيان اصطلاحاً فهو: "النطق الفصيح المُعْرَب، أي المُظهِر عما في الضمير"(٣).

لقد امتَنَّ الله على الإنسان أنه عَلَّمه البيانَ عن مكنونه، والتعبيرَ عن مقصوده، عندما خَلَقه، فهو خليفته في أرضه، ولا بُدَّ له أن يُفصِحَ عمَّا يَجُول في ضميره. قال تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ﴾ [الرحمن: ٣ – ٤]، ومعنى تعليم الله للإنسان البيانَ أنه خَلَق فيه الاستعداد لاكتسابه، ثم ترقيةَ مَداركِهِ فيه للوصول إلى أسرار اللغة في صَقْل الموهبة، وتنمية المَلَكة(٤).

وعقد الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" فصلاً تحدَّث فيه عن معنى البيان، وسُبُل امتلاك ناصِيته فقال: "والبيان اسمٌ جامعٌ لكل شيء كشف لك قِناع المعنى، وهَتَكَ الحجاب، حتى يُفْضي السامع إلى حقيقته، ويهجمَ على محصوله"(٥)، وقال: "وعلى قَدْر وضوح الدلالة، وصواب الإشارة، وحسن الاختصار، ودِقَّة المدخل، يكون إظهار

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ٥/ ٢٠٨٢، مادة بَيَن، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ /١٩٨٧م.

(٢) لسان العرب، جمال الدين بن منظور، ١٣/ ٦٩، مادة بَيَنَ، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

(٣) كتاب التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ضبطه وصححه: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ص٤٧، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م.

(٤) انظر: التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، ٢٧/ ٢٣٣، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

(٥) البيان والتبيين، الجاحظ، ١/ ٨٢، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

المعنى. وكلما كانت الدلالة أوضحَ وأفصح، وكانت الإشارةُ أَبْيَنَ وأنورَ كان أنفعَ وأنجعَ"[١]، وقال صاحب "العقد الفريد": "كُنْه البيان كَشْفُ قناع المعنى الخفيّ حتى يتأدّى إلى الفهم، ويتقبّله العقل"[٢].

ومن المُسَلَّم به أن مَنْ عَزَمُوا على بيان ما يعتمل في ضمائرهم يتفاوتون في أداء ما عزموا عليه؛ لأن بعض البيان أظهر من بعض، وهذا التفاوت يُدركه القاصي والداني. ومَنْ حازوا نواصِيَه ليسوا سواءً. والبليغ المُصْقِعُ هو الذي يُحْسِنُ اختيار اللفظ الفصيح، والصورة الموحية، والمَثَل السائر، والكناية المعبرة؛ ليستميلَ بكل أولئك القلوبَ، فيُودِعَها مكانَها من تركيب الخطاب، ليصلَ بالتأثير، ونَفاذِ ما يُريده إلى أعطاف المُتَلَقّين، فيُدْهِشَهم ببَيانِه، ويشتمل على شَغافِ قلوبِهم وعقولهم، فترى أعناقَهم قد خَضَعَتْ له، ووجوهَهم قد أسلمَتْ له، وتراهم يُردّدُون بلسان الحال: نِعْمَ القائلُ والمقولُ، سَمِعْنا وأطعنا.

وينبغي للقائم بمهامّ الدعوة إلى الله أن تتوافر لديه مقومات التكليف الشرعي، والإعداد البياني؛ لأنه عَزَمَ على إيصال مضمون الدعوة وَفْق المنهج القويم. ولا بُدَّ لمَن يحمل وظيفه الأنبياء أن يكون مؤهلاً لهذه المهمة. فما أعظمَ أن يُسَخّرَ الداعيةُ مَلَكَةَ البيان التي اجتهد في صياغتها، وسَهِر على نمائها لنصرة هذا الدين[٣]، إنَّ كلَّ مَنْ تَصَدَّر للدعوة إلى الله ينبغي له أن يتأهَّل باستعمال فنون القول، وإتقان مساربها؛ ليكونَ مكتسباً لأسباب القيام بأعباء الدعوة على نحوٍ يُحَقّق مبتغاه، وتَحْصُل الفائدة المرجوة منه. والجدير بالذكر أن ثمة تقصيراً لدى كثير من الدعاة الذين تَصَدَّروا

(١) البيان والتبيين ١/ ٨١

(٢) العقد الفريد، ابن عبد ربه، ٢/ ٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

(٣) انظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين، محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان، ٥٢٧/٩، دار الوطن، دار الثريا، الطبعة الأخيرة، ١٤١٣هـ.

لمواجهة الجمهور، فلا يراعون أهميه إعداد اللسانِ والقلم لكَسْبهم، والتأثير فيهم.

وتأتي أهمية تأهيل الداعية لإعلاء شأن الأساليب البيانية لصَقْل لسانه وقلمه، وشَحْذِ الطرائق المؤدية إلى ذلك، من جودة الإعداد الذي يسبق لقاءه بجمهوره وقرائه؛ لضمان تجديد أساليب القول المتعددة، فلا يَسْأم المتلقّي من الكلام الذي أَلِفَتْه الأسماعُ، فلم يَعُدْ يَنْفُذُ إلى القلوب؛ لأنّ تَعَانُقَ فنون البيان البليغ مع اختيار اللفظ المعجب سوف يجلب القلوب ويستميلها، ويُهَيّئ النفوسَ للقبول، ويؤثر في الفُهوم لضمان القناعة، ويُحدث الدهشة في الأفئدة، فيُتَرَضّى به الساخطُ، ويُسْتَنْزَلُ به الصعبُ(١).

إن الداعية المُوَفَّق هو الذي يُعِدُّ للأمر عُدّته، ويَصْقُلُ قلمه ولسانه، بدوام المطالعة في المصنفات التي تُهَيّئُه لاختيار الأساليب البيانية الرائقة، وأوجهِ القول النافذة إلى القلوب. ومن المصنفات التي تنفعه في ذلك مِنْ كُتُب علماء البيان السابقين: "البيان والتبيين" للجاحظ، وكتابا الشيخ عبد القاهر الجرجاني "أسرار البلاغة"، و"دلائل الإعجاز"، وكتاب "الكامل" للمبرد. ومن الكتب المعاصرة "وحي القلم"، و"السمو الروحي والجمال الفني في البلاغة النبوية"، وكلاهما للرافعي، و"جمهرة مقالات ورسائل الشيخ محمد الطاهر بن عاشور". وكلّ هذه المصنفات تتميز بالأسلوب البليغ، وتفتيق كمائم القول الحسن.

وفي جانب التأثر بالبيان المُعْجِب نستحضر ما رواه البخاري(٢) عن عبد الله بن

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات الجزري بن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، ٢/ ٣٤٦، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر بن عاشور ١٣٠٣/٣.

(٢) صحيح البخاري "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه"، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة السلطانية، ٥/ ٢١٧٦ كتاب الطب، باب إن من البيان سحراً، برقم ٥٤٣٤، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، ١٣١١هـ.

عمر ﷺ: أنه قَدِم رجلان من المشرق فخَطَبا، فعَجِبَ الناسُ لبيانهما، فقال رسول الله ﷺ: "إنَّ من البيان لَسِحْراً". ومعنى السّحر: الاستمالةُ، وكلُّ ما استمالك فقد سَحَرك، فكأنه غلب على القلوب بحُسْن كلامه، فأُعْجِب الناسُ به، والإعجاب لا يقع إلا بما يَحْسُنُ، ويَطيب سماعُه(١).

وفي الحديث دليل على مدح البيان، وفضل بلاغه القول ورَوْنَقِه، والتعجّب بما يُسْمَع من فَصاحةِ أهلها. وفيه المجاز والاستعارة الحسنة؛ لأن البيان ليس بسحرٍ على الحقيقة. وقد ذَهَبَ هذا القولُ منه ﷺ مَثَلاً سائراً في الناس، إذا سمعوا كلاماً يعجبهم قالوا: "إن من البيان لَسِحْراً". وفي الحديث ما يشير إلى أن التعجب من البيان مركوزٌ في طباع ذوي الفصاحة، والتأنّق في القول البليغ. وقال ابن التين: "الفصاحة حسنة، وهي مِنْحَةٌ من الله"(٢).

ورسولُ الله ﷺ بإنصافه كان يَعْرف لكل ذي فضلٍ فضلَه، وفي هذا ما يَدُلّ على أنَّ أبْصَر الناس بالمسموع إنما هو أكثرهم فَرَحاً واغتباطاً بالجيد الذي يَرُوق الخبير.

---

(١) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد في حديث رسول الله ﷺ، ابن عبد البر القرطبي، تحقيق وتعليق: بشار عواد معروف، وآخرون، ٣/ ٥٨٥، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ط١، ١٤٣٩هـ / ٢٠١٧م، الاستذكار، يوسف بن عبد الله القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، ٨/ ٥٥٨، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، شرف الدين الطيبي، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، ٢/ ٢٢٦، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

(٢) انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن، تحقيق دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث بإشراف خالد الرباط، جمعة فتحي، ٢٧/ ٥٥٢، دار النوادر، دمشق، سوريا، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨ م، فيض القدير، زين الدين المناوي، ٢/٥٢٥، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

و"مِنْ" في قوله ﷺ "من البيان" تفيد التبعيض. يقول مصطفى صادق الرافعي: "جَعَلَ نوعاً من البيان هو السحرُ، لا البيانُ كلُّه، فالحديث عن البيان الفني، كأنه قال: إن من البيان فَنّاً هو سِحْرٌ من عمل النفس في اللغة، تُغَيَّرُ به الأشياء، وله عَجَبُ السحرِ، وتأثيرُه، وتصرُّفه"(١).

وفي الحديث تشبيهُ البيان بالسّحر؛ لأن الساحر يستميل قلب الناظر إليه، والفصيحَ الذَّرِبَ اللسانِ يستميل قلوب الناس إليه بِحُسْنِ فصاحته ونَظْم ألفاظه، فالأنفس إليه تائقة، والقلوب نحوه مَسُوقة. قال الميداني: "يعني أن بعض البيان يعمل عَمَلَ السحر، وإنما شُبّه بالسحر لحِدَّة عَمَلِه في سامعه، وسرعة قبول القلب له، ويُضْرَبُ في استحسان المنطق، وإيراد الحجة البالغة"(٢). وتشبيه هذه الاستمالةِ بالسحر الحلال مَقولةُ الخليفة عمر بن عبد العزيز عندما تكلم أمامَه أحدُ البلغاء بكلام رقيق موجز، وتأنّى فيه وتلطَّف، فقال: "هذا السحرُ الحَلال"(٣).

ومن ثمار البيان ذي المنزلة الرفيعة التأثيرُ في المتلقي المستهدَف، فتجد قلبَه وعقلَه مفتوحَين للاستجابة، وقَبولِ توجيه الداعية. وقد كان بيان النبي ﷺ يحقق هذا التأثير في أصحابه إذ كانوا يَصِفون كلماتهِ بقولهم: "وَجِلَتْ منها القلوبُ، وذَرِفَتْ منها العيونُ" كما في حديث العِرْباض بن سارية رضي الله عنه(٤)، قال ابن الملقن: "وكان ﷺ أَمْيَزَ

(١) السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، تحقيق: وائل بن حافظ بن خلف، ص٦٠، دار البشير للثقافة والعلوم، ط١.

(٢) مجمع الأمثال، أبو الفضل النيسابوري، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، ٧/١، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ٢٧/ ٥٥١

(٤) سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، ٥/ ٤٤ باب ما جاء في الأخذ بالسنة، برقم ٢٦٧٦، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ /

الناسِ بفِصَلِ البلاغة لبلاغته"[١].

ومن شأن الداعية الذي يَحْرِص على تأهيل نفسه بالمطالعات البيانية الهادفة أن يُعنى بالشعر، فيَرْوي أمام جمهوره رائِقَهُ ونافعه من حيث مضمونُه، كما أن الداعية له ذوق مرهف في اختيار الأشعار التي تثير الدهشة والقَبول في الأسماع، وتحقق الاستمالة في ألفاظها المنتقاة وكناياتها واستعاراتها وأساليبها البيانية الرفيعة.

ولبلاغة اللسان وفصاحته تأثير عميق في استمالة المدْعُوّ وإقناعه، ولهذا طلب نبيُّ الله موسى عليه السلام من الله تعالى أن يُسَخّر له أخاه هارون ليساعده؛ لكونه أفصح لسانا وأبلغ بياناً. قال تعالى: ﴿ وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾ [القصص: ٣٤].

وروى البخاري عن أُبي بن كعب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "إن من الشعر حكمة"[٢]. وتَعَقَّب ابن حجر الحديث بقوله: "حكمة أي: قولاً صادقاً مطابقاً للحق"[٣]. وروى مسلم عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: رَدِفْتُ رسول الله ﷺ يوماً فقال: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيءٌ؟ قلت: نعم قال: هِيه، فأنشدته بيتاً. فقال: هِيه، ثم أنشدته بيتاً، فقال: هِيه، حتى أنشدْتُ مئة بيت"[٤]، وأحسَب أن الصحابي الراوي لأبيات أمية، والرسول ﷺ المتلقي، وأُميَّة

١٩٧٥م.

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ٢٧/ ٥٥١

(٢) صحيح البخاري ٥/ ٢٢٧٦ كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه، برقم ٥٧٩٣

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ١٠/٥٤٠، المكتبة السلفية، مصر، ط١، ١٣٨٠/ ١٣٩٠هـ.

(٤) صحيح مسلم "الجامع الصحيح"، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ٤/ ١٧٦٧، كتاب الشعر، برقم ٢٢٥٥، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤هـ/

شاعرٌ ذائع الصيت، ورسول الله ﷺ في المنزلة العليا من إعطاء البيان الفصيح حَقَّه من إدراكِ أسرارِه، وتَذَوُّقِه المرهف.

وفي جامع الترمذي عن جابر بن سمرة قال: "جالَسْتُ النبيَّ ﷺ أكثر من مئة مرة، فكان أصحابه يتناشدون الشعر وهو ساكت، فربما يتبسم معهم"(١)، وفي الترمذي أن عبد الله بن رَواحة دخل مكة في عمرة القضاء وأنشد الشعر، فاعترض عليه عمر، فقال رسول الله: "خَلّ عنه يا عمر، فلَهِيَ أسرعُ فيهم مِنْ نَضْحِ النَّبْل"(٢).

وفي صحيحي البخاري ومسلم أحاديثُ عن فضائل حسان بن ثابت ﷺ، وتوجيهِ النبي ﷺ له بقوله: "يا حسانُ أجِبْ عن رسول الله ﷺ. اللهم أيّدْه بروح القدس"(٣). وقد عَرَف نُقَّادُ الشعرِ، وأربابُ الصنعة منزلة حسان في الإبداع البياني. وقال خالد بن صفوان لفتى بين يديه: "رَحِمَ الله أباك إنْ كان لَيَمْلأ العين جمالاً، والأذن بياناً"(٤).

ومن صفات النبي ﷺ: الفصاحة والبلاغة، إذ هي من الصفات الكريمة التي أُعْطَيها النبي ﷺ، وكانت موضع إعجاب أم مَعْبد، فمدحته بها، فقد جاء في مَعْرِض وصفها لكلام رسول الله ﷺ: "كأن مَنطِقَه خَرَزاتُ نَظْمٍ يتَحَدَّرن"(٥).

١٩٥٥م.

(١) سنن الترمذي ٥/ ١٤٠ باب ما جاء في إنشاد الشعر، برقم ٢٨٥٠، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح

(٢) سنن الترمذي ٥/ ١٣٩، باب ما جاء في إنشاد الشعر، برقم ٢٨٤٧، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح

(٣) صحيح البخاري ١/ ١٧٣، كتاب أبواب المساجد، باب الشعر في المسجد، برقم ٤٤٢

(٤) أمالي القالي ٢/ ١٧٢

(٥) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، مع تضمينات: الذهبي في التلخيص والميزان والعراقي في أماليه والمناوي في فيض القدير وغيرهم، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ٣/١٠، كتاب الهجرة، برقم ٤٢٧٤، وقال الذهبي: صحيح، دار

وفي قوله ﷺ: "الخيل معقود في نواصيها الخير"(١) قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: "في هذا الحديث مع وجيز لفظه من البلاغة والعذوبة ما لا مزيد عليه في الحسن، مع الجِناس السهل الذي بين الخيل والخير"(٢)، وقال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "وهذا الكلام جَمَعَ من أصناف البديع ما يعجز عنه كلّ بليغ، ومن سهولة ألفاظه ما يُعْجِب ويُستطاب"(٣).

ومما تقدَّم يُؤكّد للداعية أهمية الفصاحة والبلاغة وحسن الكلام، وبيان الحق للناس. والبيان نوعان، الأول: ما يبيَّن به المراد، والثاني: تحسين اللفظ حتى يستميل به قلوب السامعين، وهذا النوع الذي يشبَّه به السحر، والمذموم منه ما يُقْصد به الباطل، أمَّا مَا يبيَّن به الحق للناس بعذوبة الكلام وفصاحته وبلاغته واقتصاده، فهو المطلوب في الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ(٤).

وقد بَيَّن الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ أن المذموم من البيان ما يكون فيه صَرْفُ الحق إلى الباطل بتحسين الكلام كأنْ يكون الإنسانُ عليه حَقٌّ، وهو ألحن بالحجة من

الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

(١) نقلا عن: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر ٦/ ٥٦، إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، تحقيق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، ٦/ ٥٩٦، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

(٢) نقلا عن: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني ٦/ ٥٦، إكمال المعلم شرح صحيح مسلم ٦/ ٥٩٦.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أحمد بن عمر القرطبي، حقّقه وعلّق عليه وقدّم له: محيي الدين ديب ميستو، أحمد محمد السيد، يوسف علي بديوي، محمود إبراهيم بزال، ٣/ ٧٠٣، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

(٤) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٩/ ٢٠٢، و١٠/ ٢٣٨

صاحب الحق، فيسحر الناس ببيانه، فيذهب بالحق[١]. وأما إذا كان البيان في تزيين الحق فهو الممدوح، وقد امتنّ الله بذلك على عباده إذ قال: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ﴾ [الرحمن: ٣ – ٤][٢]، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: "واتفق العلماء على مدح الإيجاز، والإتيان بالمعاني الكثيرة بالألفاظ اليسيرة، وعلى مدح الإطناب في مقام الخطابة بحسب المقام، وهذا كلُّه من البيان بالمعنى الثاني"[٣]، فينبغي للداعية أن يراعيَ ذلك في الدعوة إلى الله بحسب الاستطاعة؛ وليعلم أن الإفراط والتفريط في كل شيء مذمومٌ، وخيرُ الأمور أوسطها[٤].

ومن صفات الداعية التي تُعجب المدعوين الفصاحةُ والبلاغة، وهي من الصفات الحميدة التي يجمل أن يتصف بها الداعية، وقد ظهر هذا الأسلوب في الحديث، لقوله ﷺ لليهود: "أسْلموا تسْلموا"[٥]، قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: "وفي هذا الحديث استحباب تجنيس الكلام، وهو من بديع الكلام، وأنواع الفصاحة"[٦]، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله ﷺ: "أسلموا تسلموا" من الجناس الحسن؛ لسهولة لفظه وعدم تكلّفه"[٧]،

---

(١) انظر: المرجع السابق ١٠/ ٣٣٨

(٢) فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، سعيد بن علي القحطاني، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١/٣٣٠، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط١، ١٤٢١هـ.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/ ٣٣٨

(٤) انظر: المرجع السابق ١٠/ ٣٣٨

(٥) صحيح البخاري ٤/ ٩٩ كتاب الجزية، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب، برقم ٣١٦٧

(٦) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، ١٢/ ٣٣٣، دار إحياء التراث التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

(٧) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٦/ ٢٧١، وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، مسلم، للقرطبي، ٣/٥٨٧.

وهذا يبيّن أهمية الفصاحة للداعية في الدعوة إلى الله ﷻ [١].

إن الفصاحة والبيان ممَّا يُعين على التعليم، وعلى إقامة حقوق الدعوة؛ لهذا طلب موسى من ربه أن يَحِلّ عُقدة من لسانه ليفقهوا قوله، وعلى الداعية أن يميز خطابه بحسن الأداء، ولا يتأتى له ذلك إلا باهتمام الداعية بموضوع الحديث والوقوف على فنون الخطابة في الأدب العربي، ولاسيما الأدبُ النبوي والبلاغة المحمدية، وهو إن أتقن ذلك استثار اهتمام المدعوين، واستحوذ على مشاعرهم، وتمكَّن من جَذْبهم إليه[٢].

قيل لمحمد بن إدريس الشافعي: كيف شهوتك للأدب؟ قال: أسمع بالحرف منه مما لم أسمعه فتودّ أعضائي أنّ لها أسْماعاً تتنعَّم به مثلَ ما تَنَعَّمَت الأُذُنان[٣].

وكتاب "أمالي القالي" من الكتب الأدبية النفيسة، فقد عُني مؤلفه بفصيح القول، وبليغ الكلام، وعالج متنوع الموضوعات والقضايا، وكان من أبرز ما تناوله فيه القضايا الدعوية، وهو ما تمّ دراسته في هذا البحث.

(١) انظر: فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري ٢/ ١٠٢٦

(٢) انظر: عدة الداعية المسلم، الشريف حمدان الهجاري، ص٣٣، القاهرة، دار الهدى للنشر والتوزيع، ١٩٩٢م.

(٣) مناقب الشافعي للبيهقي، تحقيق السيد أحمد صقر، ٢/ ١٤٣، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

المبحث الأول
صلة الداعية باللّه تعالى في كتاب الأمالي

إن الأساس القويم الذي تقوم عليه الدعوةُ، وترتكز دعائمها عليه، ويشتدّ سُوقها به، فتؤتي أُكُلَها كلّ حين بإذن ربها هو تقويةُ علاقة الداعية بربه تعالى، وتعميقُ الجانب الإيماني لديه، فالجهود الدعوية التي يبذلها كل داعية ما هي إلا سببٌ لن يستمرَّ أو ينجح إلا بعون الله وتوفيقه وتسديده.

إن الاجتهاد في الطاعات والتقرُّب بها إلى الله ﷻ من أقوى أسلحة الدعاة؛ فإن للطاعة نوراً ينعكس على وجوههم، ووَقاراً وهيبة يدعوان الناس إلى احترامهم وتقديرهم(١).

وقد نثر الإمام القالي في أماليه ما يُعَزّز الجانب الإيماني، ويؤكّد الارتباط الروحي العميق به، فنبّه على أهمية توثيق العلاقة بالله دائماً بالعبادات والقُرُبات والأذكار، مع حُسْن التوكل عليه، وإخلاص النية له، وتقواه سبحانه وتعالى، وقد ساق طائفة من الروايات المتنوعة المفيدة في هذا الشأن، ومن ذلك: كَتَب عمر ﷺ إلى ابنه عبد الله في غَيبة غابها: "أمَّا بَعْدُ، فإنه مَنِ اتقى الله وقاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن شكره زاده، ومن أقرضه جزاه، فاجعل التقوى جَلاء بصرك، وعماد ظهرك، فإنه لا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لمن لا حسنة له"(٢)، فعمر ﷺ أراد أن يوصي ابنه في غيبته بوصية مختصرة جامعة لأهم الأمور، فأوصاه بالتقوى والشكر والتوكل والإخلاص، وهي عبادات قلبية تقوّي صلة العبد بربه، وتشدّ وَثاقه به سبحانه.

وقيل لبعض الحكماء: "أيُّ الأصحاب أبَرُّ؟ قال: العمل الصالح، قيل: فأيُّهم أضرُّ؟ قال: النفس والهوى، قيل: ففيمَ المخرج؟ قال: في قَطْعِ الراحة، وبَذْل المجهود(٣)". وفي ذلك إشارة إلى

(١) انظر: الدعوة، د. حمد العمار، ص١٠٥، كنوز إشبيليا، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
(٢) أمالي القالي ٢/ ٥٥
(٣) المرجع السابق ٢/ ٥٧

ضرورة بذل الوُسْع، ونَبْذُ الراحة في العبادات والقربات؛ بُغْيَة توثيق العلاقة بالله تعالى لمَن ينشدُ ثمراتِ ذلك من الفوز بالمغفرة والرضوان وجِنان النعيم، فطريق الله لا تُنال بالكسل والخمول، وإنما بالعمل الدؤوب لرضاه.

كما حذّر رَحِمَهُ اللَّهُ من التساهل في حُرُمات الله ونِقْماته، فإن عواقب ذلك ليست بالأمر اليسير الذي يستهان به، والله تعالى يُمهل ولا يُهمل، خاطب أحدُ البلغاء أحدَ الخلفاء: "أوصيك بأربعِ خِلال تُرضي بهنّ ربك، وتُصلح بهن رعيَّتَك، وذكر منها: "واعلم أن لله نِقْماتٍ، فكُنْ على حذر، واعلم أن للأعمال جزاءً، فاتَّقِ العواقب"(١).

والتهاون في المعاصي يستجلب غَضَب الله ونِقْمته، ولا يغترّ العبد بطيب العيش، فإن الله يُمهل ولا يُهمل سبحانه، رُوي أن أحد البلغاء قال لابنه: "لا يغرّنك ما ترى من خَفْض العيش ولين الرِّياش، ولكن انظر إلى سرعة الظَّعْنِ، وسوء المنقلب"(٢).

ومن باب تقوية العلاقة بين العبد وربه يشرح رَحِمَهُ اللَّهُ الدعاء الوارد في الحديث الشريف، وفيه سؤال العبد لله تعالى بأن يَمُنَّ عليه بما يُوصله برضا الله تعالى، وتوفيقِه في الدارين: "كان رسول الله ﷺ يقول في دعاء له: رب تقبل توبتي، وأَجِبْ دعوتي، واغسِلْ حَوْبتي، وثبّت حجتي، واهد قلبي، وسدِّد لساني، واسْلُلْ سَخيمةَ قلبي"(٣). قال: "الحَوبة: الفَعْلَةُ من الحُوب وهو الإثم، يقال: حاب الرجل إذا أَثِم، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۝٢﴾ [النساء: ٢](٤)، والسخيمة: الحقد(٥)".

---

(١) المرجع السابق ١/ ٢٥٤

(٢) المرجع السابق ٢/ ٥٧

(٣) صحيح الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، ص٢٤٧، باب دعواتِ النبي ﷺ، برقم ٦٦٥، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٤) سورة النساء: الآية ٢

(٥) أمالي القالي ٢/ ٢٦٣

ويُورد رَحِمَهُ اللَّهُ موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه من غلام دعا الله تعالى أن يُبعده عن الآثام والخطايا؛ رغبةً فيما ينتج من ثمرات، تبعاً لاستجابة الله له، من صفاء العلاقة بالله تعالى مما قد يشوبها من شوائب، ومن غفران الله والفوز بجنته. روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع غلاماً يدعو ويقول: "اللهم إنك تَحُول بين المرء وقلبه، فحُلْ بيني وبين خطاياي، فلا أعمل بشيء منها". فسُرَّ عمر بقوله، ودعا له بخير(١).

ولنتأمل فِقْهَ أحد البلغاء، ورهافة نفسه، ورقة قلبه، وسمو روحه، عندما كان في ساعة صفاء، مع الله تعالى، فأثنى على الله بما هو أهلُه، ثم سأله مغفرة الذنوب، والعِصمة من الهوى والباطل؛ لأنها من العوائق التي تُبعد عن الله، وتُوهن العلاقة به سبحانه، كما سأله إطلاق اللسان بالحمد؛ لتبقى أواصر الصلة به سليمة متينة. فعن عبد الملك بن قريب، قال: سمعت أحد البلغاء يدعو الله وهو يقول: "هربتُ إليك بنفسي، يا ملجأ الهاربين، بأثقال الذنوب أَحْمِلُها على ظهري، لا أجد شافعاً إليك إلا معرفتي بأنك أكرم مَنْ قَصَد إليه المضطرون، وأَمِل فيما لديه الراغبون، يا مَنْ فَتَقَ العقول بمعرفته، وأطلق الألسن بحمده، وجعل ما امتنَّ به من ذلك على خَلْقِه كِفَاءً لتأدية حقه، ولا تجعل للهوى على عقلي سبيلا، ولا للباطل على عملي دليلاً"(٢).

(١) ذيل أمالي القالي، أبو علي القالي، ص٥٩٩ المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٤٤٥/٢٠٢٣م.
(٢) أمالي القالي ١/ ١١

المبحث الثاني
الإعداد العلمي للداعية في كتاب الأمالي

أمر الله بالعلم، وأعلى مكانته، ورفع شأنه، وكان الأمر بطلب أولى وسائله وهي القراءة أول أمر إلهي لنبيه: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ [العلق: ١]، وأوجب الله تعالى العلم قبل القول والعمل، فقال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ۝١٩ ﴾ [محمد: ١٩]، وبوَّب الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ لهذه الآية بقوله: "باب العلم قبل القول والعمل "[(١)]، والمراد أن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يُعتبران إلا به، فهو متقدم عليهما؛ لأنه مصحح للنية المصححة للعمل[(٢)].

ولا يخفى على أحد أهميةُ متابعة طلب العلم للداعية، والحرصُ على تنمية موارده؛ توثيقاً لمواعظه، وإثراءً لنصوصه. وإن منزلة العلم إن لم تصحب السّالكَ من أوّل قدمٍ يضعه في الطّريق إلى آخر قدمٍ ينتهي إليه، فسلوكُه على غير طريقٍ، وهو مقطوعٌ عليه طريقُ الوصول، مسدودٌ عليه سبلُ الهدى والفلاح، مغلَقةٌ عنه أبوابها. وهذا إجماعٌ من الشُّيوخ العارفين، ولم يَنْهَ عن العلم إلّا قُطَّاعُ الطّريق منهم، ونُوَّابُ إبليس وشُرَطُه[(٣)].

وقد اعتنى القالي رَحِمَهُ اللَّهُ بالعلم، وأشاد بمكانته، وأعلى منزلة طلابه، ونقل لنا نصوصاً تحث على السعي إلى طلبه، والحرصِ على الإفادة منه ومن علمائه؛ تشجيعاً

(١) صحيح البخاري ١/٢٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/ ١٦٠.

(٣) مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، ٣/ ٢٧٠، دار عطاءات العلم، بيروت، ط٢، ١٤٤١هـ/٢٠١٩م.

للداعية على الاستزادة من طرائقه، وتحصيل وسائله. ومن جميل بيانه حول منزلة العلم ومكانه ما حدّثنا عن عنايته بالعلم، وحرصِه على طَلَبه، فقال: "فإني لمَّا رأيت العلم أَنْفَس بضاعة، أيقنتُ أن طلبه أفضل تجارة؛ فاغتربتُ للرواية، ولَزِمتُ العلماء للدِّراية. ثم أعملتُ نفسي في جمعه، وشغلتُ ذهني بحفظه؛ حتى حَوَيتُ خطيره، وأَحْرَزتُ رفيعه، ورَوَيْتُ جليله، وعَرَفْتُ دقيقه؛ وعَقَلْتُ شارِدَه، ورَوَيْتُ نادِرَه، وعَلِمْتُ غامضه، ووَعَيْتُ واضحه"(١).

ثم ينبّهنا الإمام القالي على أمر ذي بال، يتصل بنشر العلم، وبذْلِه لمستحقيه، فيقول: "ثم صُنتُه بالكتمان عَمّن لا يعرف مقداره، ونَزّهته عن الإذاعة عند من يجهل مكانه؛ وجعلتُ غرضي أن أُوْدِعَه مَن يستحقه، وأُبديه لمن يعلم فضله، وأَجْلِبُه إلى مَن يعرف محلّه؛ وأنشره عند مَن يُشَرّفه، وأقصد به مَن يُعَظّمه؛ إذ بائع الجوهر وهو حَجَرٌ يصونه بأجود صِوَان، ويُودعه أفضل مكان؛ ويقصد به من يجزل ثمنه، ويحمله إلى مَن يَعْرِف قدْره"(٢)، ولقد فَطِنَ لهذا الملحظ علماءُ السلف وأكّدوه، وحجتهم في ذلك أن العلم عزيز ثمين غالٍ، لا ينبغي بَذْلُه إلا لمَن يستحقه ويصونه، فكان بعض السلف يتَمَنَّعُ من التَّحْدِيثِ إذا كان السامع ليس من أهل العلم، وقال مالك بن أنس: "من إهانة العلم أن تُحَدّث كلّ من سألك"(٣)، وعن أبي قلابة قال: "لا تحدّث الحديث من لا يعرفه، فإن مَنْ لا يعرفه يضرّه ولا ينفعه"(٤).

ويُعنى القالي رَحِمَهُ اللَّهُ من شأن طالب العلم، ويُنزله منزلة كريمة تليق بما يحمله من شرف

(١) أمالي القالي ١/ ١

(٢) المرجع السابق ١/ ١

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، تحقيق د. محمود الطحان، ١/ ٢٠٥، مكتبة المعارف، الرياض.

(٤) المرجع السابق ١/ ٣٢٨

رفيع، فيقول عنه: "والعلم يُذكر بالرجاحة طَالِبُه، ويُنعت بالنباهة صاحِبُه، ويستحق الحمد عند كل العقلاء حاويه، ويستوجب الثناء من جميع الفضلاء واعيه، ويفيد أسنى الشرف مُشَرّفِه، ويكتسب أبقى الفخر مُعَظّمُه"(١)، ويقول أيضاً في مَعْرِض حَثّه على الطلب، ومَدْحِه لهذا الطالب: "يا بَنيّ، تعلّموا العلم، فإنكم إن تكونوا صغار قوم فعسى أن تكونوا كُبَراءَهم، واسوءتا! ماذا أقبحُ من شيخ جاهل؟"(٢).

ويَعُدّ القالي وارثَ العلم والأدب هو الغنيَّ حقاً، بخلاف ذاك الذي أعرض عن طلب العلم فغدا جاهلاً فقيراً، قال بعض الحكماء: "لا غِنى كالعقل، ولا فَقْرَ كالجهل، ولا ميراث كالأدب"(٣).

ولشَرف العلمِ ومنزلته عدّه العقلاء سبيلاً مُعيناً على ترقية العقل وتذكيته، واستدلّوا على كمال عقل العالم الحصيف بحسن تدبيره، فقد قيل: "أعون الأشياء على تذكية العقل التعلمُ، وأَدَلُّ الأشياء على عقل العاقل حسنُ التدبير"(٤)، ويُبيّن رَحِمَهُ اللَّهُ إحدى الطرق النافعة التي يكتسب بها طالب العلم فِقْهاً وفهماً ومعرفةً، وذلك بالاستشهاد بقول أحد الحكماء: "إني لم أكن حكيماً حتى صاحبتُ الحكماء"(٥). والحكمة هي: العلم النافع(٦).

كما يُنبّه رَحِمَهُ اللَّهُ على أمر دقيق ينبغي لطالب العلم الحِرْص عليه؛ ليكون النفع المَرْجُوُّ من

---

(١) أمالي القالي ٢/١

(٢) المرجع السابق ١/ ٢٤٠

(٣) المرجع السابق ٢/ ١٦٤

(٤) المرجع السابق ١/ ٢١٤

(٥) المرجع السابق ٢/ ١٥٧

(٦) الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، ص٣٨٢، مؤسسة الرسالة، بيروت.

علمه جزيلاً عظيماً، وهو حُسْنُ الاستماع للشيخ المعلّم؛ فيتوافر للطالب الفَهْمُ، والاستيعاب، والإحاطة بكل ما تَلَقَّاه من شيخه، وينقل لنا عدداً من النصوص حول هذه الفكرة؛ للتأكيد عليها. قال الحسن لابنه: "يا بُنَي، إذا جالَسْتَ العلماء فكن على أن تسمع أحرصَ منك على أن تقول، وَتَعَلَّمْ حسن الاستماع كما تتعلمُ حسنَ الصمت، ولا تقطع على أحد حديثاً، وإن طال حتى يُمْسك"(١). وقال محمد بن حفص: "كن إلى الاستماع أسرع منك إلى القول، ومن خطأ القول أشد حذراً من خطأ السكوت"(٢)، وقال أبو عمرو بن العلاء: "أَوَّلُ العِلْمِ: الصَّمْتُ، وَالثَّانِي: حُسْنُ الِاسْتِمَاعِ، وَالثَّالِثُ: حُسْنُ السُّؤَال، وَالرَّابِعُ: حُسْنُ الْحِفْظ، وَالْخَامِسُ: نَشْرُهُ عِنْدَ أَهْلِه"(٣).

كما يُنبّه رَحِمَهُ اللَّهُ على ضرورة ألَّا يتحدثَ طالبُ العلم بما لا يعلم، أو يُفتيَ بغير علم، ففيه ادّعاء علمِ ما يجهل، وتعالُمٌ وتَعدٍّ، ويستشهد بقول قُسّ بن ساعِدَةَ عندما سُئل يوماً: "ما أفضلُ العلم؟ قال: وقوف المرء عند علمِه"(٤)، وكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأقوال السلف تؤكد عِظَمَ إثم المفتي بغير علم، المتقوّلِ على الشرع ما لم يرِدْ في أحكامه. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وورد في الحديث الشريف: "إن الله لا يقبِض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يَقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبْقِ عالماً، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسُئلوا فأفْتَوا بغير علم، فضلُّوا وأضلوا"(٥)، وصَحَّ عن ابن مسعود وابن عباس: "مَنْ أفتى النَاسَ في كل ما يسألونه عنه فهو مجنون". وقال ابنُ سيرين: "لأن يموت الرجلُ جاهلًا خيرٌ له من أن

(١) البيان والتبيين ٢/ ١٩٩، أمالي القالي ٢/ ١٨٨

(٢) البيان والتبيين ٢/ ١٩٩

(٣) الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي، تحقيق: عادل الغرازي، ٢/ ١٩٩، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤٢١هـ.

(٤) أمالي القالي ٢/ ٣٧

(٥) صحيح البخاري ١/ ٣٢، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، برقم ١٠٠

يقولَ ما لا يعلم". وقال القاسم: "من إكرام الرجل نفْسَه ألاَّ يقول إلا ما أحاط به علمه". وقال: "يا أهل العراق والله لا نعلم كثيرًا مما تسألوننا عنه، ولَأَن يعيش الرجل جاهلًا إلا أن يعلمَ ما فرض الله عليه خيرٌ له من أن يقول على الله ورسوله ما لا يعلم". وقال مالك: "من فِقْه العالم أن يقول: (لا أعلم)؛ فإنه عسى أن يتهيأ له الخيرُ"(١)، وعن المعتمر بن سليمان، قال: "كان يقال: عليك بدِينك، ففيه مَعادُك، وعليك بمالك، ففيه مَعاشُك، وعليك بالعلم، ففيه زَيْنُك"(٢).

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تقديم وتعليق: أبو عبيدة مشهور بن حسن، شارك في التخريج: أحمد عبد الله أحمد، ٣/ ٤٤٣، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ.

(٢) أمالي القالي ١/ ١٩٥

المبحث الثالث
الإعداد الخُلُقي للداعية في كتاب الأمالي

أولا: أخلاق محمودة

حَثَّ الإسلامُ على مكارم الأخلاق، ورغّب في فضائل الآداب، ورتّب لصاحب الخلق القويم والأدب الرفيع عظيم الأجور في الدارين؛ وما ذاك إلا للأثر الطيب لتلك الأخلاق والآداب الذي تتركه في نفوس المتمثّلين بها، والمستقبلين لها، ولا سيما في المجال الدعوي، وما مَدْحُ الله لنبيه بعظمة خلقه إلا تأكيدٌ لهذا الموضوع الدعوي الواسع: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤].

والعمل الدعوي يتطلّب خلقاً رفيعاً، وسجايا عالية؛ فالداعية يخاطب جميع الناس على مختلف أشكالهم وألوانهم ولغاتهم وطبقاتهم، مع تعدُّد أعرافهم وتقاليدهم، وقد يصل الأمر إلى حدّ إيذاء الداعية بالقول أو بالفعل؛ لذا ينبغي للداعية التمسكُ بالأخلاق الفاضلة، وتطبيقُها في مساره الدعوي، وجَعْلُها واقعاً يعيشه مع الناس لا مُجَرّد ترفٍ فكري، أو حِليةٍ يتحلى بها(١).

وفي أمالي القالي دعوة حثيثة بلسان بليغ على التحلي بكريم الأخلاق، ورفيع الخصال، وينقل لنا الإمام القالي مقولة الأصمعي التي تؤكّد مكانة الخلق الحسن: "من قعد به نسبه، نهض به أدبه"(٢)، فإن ما يرفع مكانة المرء، ويُعلي شأنه، تَحَلّيه بمحمود الأخلاق وكريمها.

---

(١) انظر: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، د. عبد الرحيم المغذوي، ص٥٢٤، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

(٢) أمالي القالي ١/ ٢٢٣

ومن الأخلاق الطيبة التي يُشرع لكل مسلم التمثّل بها، ولا سيما الدعاة، التوازنُ في جميع جوانب الحياة؛ وذلك لثِقل العبءِ الذي يحمله الداعية، ولكثرة مسؤولياته، فيبذل وُسْعَه في إعطاء كل ذي حق حقه، ويحرِص على ألا يَميلَ إلى جانب دون جانب، وقد ذكر الإمام القالي الحديث الشريف الذي يحثّ على خلق التوازن، فعن عبد الله بن عمرو ﷺ، قال: قال لي رسول الله ﷺ: "ألم أُخْبَرْ أنك تقوم الليل وتصوم النهار". فقلت: إني أفعل ذلك، فقال: "إنك إن فعلتَ ذلك هَجَمت عيناك[١]، ونَفَهَت نفسك[٢]، إن لعينك حقا، ولأهلك حقا، ولنفسك حقا، فقم ونم، وصم وأفطر"[٣]، وقد اعتنى الإمام القالي بشرح مفردات الحديث، فقال: هَجَمَتْ عينه، وخَوِصَتْ، وقَدَحَتْ ونَقْنَقَتْ عينُه نَقْنَقَةً: كل ذلك إذا غارت. وقال: حَجَلَتْ عينه وهَجَمَت: كلاهما غارت[٤].

ولمّا أراد أبو علي الحضّ على خلق التسامح نقل لنا مثلاً من أمثال العرب البليغة التي تُشيد به، وهو: "الرَّباح من السماح" ثم شرح المثل بقوله: "يريد أن المسامح أحرى أن يربح"[٥]، فالمسامح هو الرابح عند الله بالأجر الجزيل، وعند الناس بالمنزلة العالية، وإن كان في ظاهر الأمر خلافَ ذلك.

ومعلومٌ أهميةُ طَيّبِ الكلمة، وبشاشةِ الوجه، ومكانتُهما في الشرع، وتأثيرُهما

---

(١) هَجَمَت العين: أي غارت ودخَلَتْ، ومنه: هَجَمْتُ على القوم، أي دخلت عليهم. (غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق د. محمد عبد المعيد خان، ١/ ٢١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، ط١، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، المُعْلم بفوائد مسلم، محمد بن علي التَّمِيمي، تحقيق: الشيخ محمد الشاذلي، ٢/ ٦٥، الدار التونسية للنشر).

(٢) نَفَهت النفس: أي أعيت. (غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام، ط الهندية ١/ ٢١، المنهاج شرح مسلم بن الحجاج ٨/ ٤٦)

(٣) صحيح مسلم ٢/ ٨١٦ ت عبد الباقي، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا، برقم ١١٥٩

(٤) أمالي القالي ١/ ١٠

(٥) المرجع السابق ١/ ١٥

الحسنُ في الآخرين، وفي هذا ذَكَر لنا الإمام القالي ما رواه هشام بن عروة عن أبيه قال: مكتوب في الحكمة: "يا بُني، لتكن كلمتك طيبة ووجهك بِسْطاً، تكن أَحَبَّ إلى الناس ممن يعطيهم العطاء"(١)، فالقول الحسن مأمور به في نصوص الوحيين، والكلمة الطيبة صدقة، وصاحب الوجه الطلق البشوش محمود مأجور. والفوائد المرجوة من طِيْبِ الكلام عظيمة، ومنها التوقّي من شر أهل الشر، فتهذيب اللسان، وتعويدُه على الكلام الطيب الحسن يُنْجِي صاحبه من الشرور وأهلها، وفي هذا يقول أحد البلغاء: "عَوّدْ لسانك الخير تَسْلَمْ من أهل الشر"(٢).

ومن الأخلاق الحسنة المأمور بها شرعاً حُسْنُ الظن بالآخرين. ولبيان ما لهذا الخلق من مكانة في نفوس الآخرين ذَكَره القالي في مَعْرِض مدْح أحد البلغاء لصديق له: "ما اتهمتُ حسن ظني بك منذ تَوَجُّهِ رجائي نحوك، ولا قعدت بجدٍّ فائلٍ باعتمادي عليك، ولا استدعتني رغبةٌ عنك إلى مَن سواك، ولا أراني الاختبارُ غيرك عوضاً منك". والفائل: المخطئ، يقال: رجل فأل الرأي، وفائل الرأي، وفَيْل الرأي، إذا كان مخطئ الرأي(٣)، وإن إحسان الظن بالآخرِ يُثْمر راحة بالٍ وهدوء نفسٍ لكلا الطرفين، فلا يُرهَق أي منهما بحقد أو كره أو بغضاء تجاه الآخر؛ لذا كان هذا الخُلُقُ من الأخلاق المأمور بها شرعاً، ولاسيما لمَنْ له تعامُلات دائمة مع الناس كالدعاة ونحوهم.

ومن الأخلاق الرفيعةِ الشأن في شرعنا صِلَةُ الرحم، فورد الأمر بها في الكتاب والسنة، وأشار إليها القالي في أماليه، فذَكَر أن قوماً تذاكروا صلة الرحم، ورجلٌ بليغٌ جالس، فقال: "مَنْسَأَة في العمر، مرضاة للرب، محبة في الأهل"(٤)، وهو مصداق للحديث الشريف: "مَنْ سرّه

(١) المرجع السابق ١/ ١٦
(٢) ذيل أمالي القالي ٥٨٦
(٣) أمالي القالي ١/ ١١٦
(٤) المرجع السابق ١/ ٢١٣

أن يُبْسط له رزقه، أو يُنسأ له في أثره، فليصل رحمه"(١).

ومن الأخبار البليغة في حسن الخلق التي نقلها لنا ما حكاه أن حكيماً ذكر قوماً فقال: "أدّبتهم الحكمة، وأحْكَمَتْهم التجارب، ولم تَغْرُرْهم السلامة المنطوية على الهلكة، وجانِبُوا التسويف الذي به قطع الناس مسافَةَ آجالهم، فذلت ألسنتهم بالوعد، وانبسطت أيديهم بالإنجاز، فأحسَنوا المقال، وشفّعوه بالفِعال"(٢)، وفي مدح الحكيم لأولئك القوم بما فيهم من طيب خلال دلالة على عظيم تلك الخِلال من حكمة رأي، ومبادرة في فعل الخير، ووفاء بالعهد، وكريم عطاء، فأثمرت لهم تلك الخلالُ الطيبة حُسْنَ الكلام، مع تطبيق عملي على أرض الواقع. ومما يؤكّد أهمية الحكمة مقولةُ علي بن أبي طالب ﷺ التي نقلها الإمام القالي: "الحكمة ضالة المؤمن، فخذ ضالَّتك حيثما وجدتَها"(٣)، فالحكمة هي ما ينشده المسلم ويبحث عنه في جميع مراحل حياته، بغض النظر عن مصدرها، ولْيَحْرِص عليها أينما وجدها.

ومن جميل الخصال التي حَثَّ عليها أحد البلغاء نَقَل القالي لنا وصيته وجاء فيها: "صُنْ عقلك بالحلم، ومروءتك بالعفاف، ونجدتك بمجانبة الخُيَلاء، وخلَّتك بالإجمال في الطلب"(٤)، فالحلم والعفاف والتواضع من أبرز ما يصون حياة المسلم ويقوي علاقاتِه بالآخرين ويهذبها.

وكم كانت سعادة الخليفة الراشد عمر بن العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ عظيمة لمَّا اطمأنَّ على رعيته، بعد أن سأل أحد الوافدين إليه، فأخبره باستقرار أحوال معاشهم، وبتحقّق خُلقي العدل والإنصاف بينهم. وما كان ذاك ليتحقق إلا بالجهد المضني الذي بذله هذا

(١) صحيح البخاري ٣/ ٥٦، كتاب البيوع، باب من أحب البسط في الرزق، برقم ٢٠٦٧
(٢) أمالي القالي ٢/ ٢١
(٣) المرجع السابق ٢/ ٩٤
(٤) المرجع السابق ٢/ ٢٩

الخليفةُ الراشدُ في تطبيق ما أمرت به أحكام الشريعة وآدابها. فقد رُوي أن وافداً وفد على عمر بن عبد العزيز، رَحِمَهُ اللَّهُ، فقال له: كيف تركتَ الناس؟ قال: تركتُ غنيهم موفوراً، وفقيرهم محبوراً، وظالمهم مقهورا، ومظلومهم منصورا، فقال: "الحمد لله، لو لم تَتِمَّ واحدةٌ من هذه الخصال إلا بعضو من أعضائي لكان يسيراً"(١).

ويؤكد القالي أهمية الجود والوفاء والصدق والشكر ورعاية الحقوق والإنصاف والتواضع، وهي مما أمر الشارع به، فينقل لنا كلاماً بديعاً عنهم، وهو قول الحكماء: "مَنْ كانت فيه سبعُ خصال لم يَعْدَم سبعاً: من كان جواداً لم يَعْدَم الشرف، ومن كان ذا وفاء لم يعدم المِقَة(٢)، ومن كان صدوقاً لم يعدم القبول، ومن كان شكوراً لم يعدم الزيادة، ومن كان ذا رعاية للحقوق لم يعدم السؤدد، ومن كان منصفاً لم يعدم العافية، ومن كان متواضعاً لم يعدم الكرامة"(٣).

ولما أراد الإمام القالي رَحِمَهُ اللَّهُ الحث على الزهد في الدنيا، والترغيب في التخفيف من متاعها، نقل لنا قول أحد الحكماء: "العاقل حقيق أن يَسْخَى بنفسه عن الدنيا، لعلمِه ألَّا ينالَ أحد فيها شيئاً إلا قلّ إمتاعه به، أو كَثُرَ عَناؤه فيه، واشتدت مَرْزِئَته(٤) عليه عند فراقه، وعظُمَتْ التَّبِعَة فيه بعده"(٥).

ومن أعظم الزهد في الدنيا الزهد مما في أيدي الناس. وهذا النوع من الزهد يُعَدّ من سخاء النفس وعِفَّتها، وهو خير من البذل والعطاء، قال حكيم: "سخاء النفس عما

(١) أمالي القالي ٢/ ٣٧
(٢) المقة: المحبة. (الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ٤/ ١٥٦٨، مادة ومق)
(٣) أمالي القالي ٢/ ٣٧
(٤) المَرْزِئة: المصيبة.
(٥) أمالي القالي ٢/ ٣٨

في أيدي الناس أكثر من سخاء البذل"[١]، ولبيان حقيقة الزاهد نقل لنا قول ابن شهاب الزهري لمّا سُئل عنه: "من لم يمنع الحلالُ شكرَه، ولم يغلب الحرامُ صبرَه"[٢]، فهذا الزاهد ثابت على دَيدَنه في شكر الله على نعمائه، والصبر على بلواه، لا تُبطره نعمة، ولا يغلبه حرام.

ومن حرص أولئك السلف على الزهد والرضا بالقليل والترفّع عن المتاع الزائل، كانوا يوصي بعضُهم بعضاً بذلك، فقد ذكر القالي أن حكيماً كتب إلى حكيم: "ارضَ من الدنيا بالقليل مع سلامة أمرك، واعلم أن أجور العاملين موفّاةٌ، فاعمل ما شئت والسلام"[٣]، فالسير على المنهج الشرعي القويم، مع الرضا بالقليل هو الطريق المستقيم المُوصِلُ لرضوان الله تعالى، وهو ما سيكون سبب نجاتهم يوم تُوفّى كل نفس ما كسبت.

ومن الأخلاقيات السامية التي نقل لنا القالي أخباراً عن أهميتها الحلم والعفو، فلمنزلة هاتين الخُلّتين ومكانتهما العالية في الميزان الخلقي قرن عمر بن عبد العزيز ﷺ الحِلم بأفضل العلم، وبيّن أن العفو الأفضل هو ما كان عند المقدرة. قال: "ما أُقْرِن شيء إلى شيء أفضل من علم إلى حلم، ومن عفو إلى مقدرة"[٤].

ثانيا: أخلاق مذمومة

وكما نقل لنا القالي في أماليه أخباراً عن الأخلاق الحسنة؛ دعوةً إليها، وحثّاً على تطبيقها، نقل لنا أيضاً أخباراً عن سيّئ الأخلاق؛ تحذيراً منها، وتبكيتاً لفاعلها.

ومن ذلك ما نقله أنّ أحد البلغاء استعاذ بالله من قول الزور والفجور والغرور،

---

(١) المرجع السابق ٢/ ٨٠
(٢) المرجع السابق ٢/ ٣٠٢
(٣) ذيل أمالي القالي ٥٩١
(٤) أمالي القالي ٢/ ١٧٩

وما استعاذ أحد من شيء إلا لسوئه وخبثه. قال: "اللهم إني أعوذ بك أن أقول زُوراً، أو أغشى فجوراً، أو أكون بك مغروراً"(١).

ونقل لنا وصية بليغة تحذّر من الحسد والكبر والبخل وتوضّح عواقبها، وأخرى تذمّ اتباع الشهوات، وتحثّ على إعمال العقل في اتباع طريق الهدى، ثم تُبيّن ثمرات تجنّب الفواحش، والتحلي بالمكارم. قيل: "الحسد ماحِقُ الحسنات، والزهو جالبٌ لمقت الله، ومَقْتِ الصالحين، والعجب الصارف عن الازدياد من العلم داعٍ إلى التَّخَمُّط(٢)، والجهل، والبخل أذم الأخلاق، وأجلبها لسوء الأحدوثة". وقال رجل يوصي آخر: "آثِرْ بعملك مَعادك، ولا تَدَعْ لشهوتك رشادك، وليكن عقلُك وزيرَك الذي يدعوك إلى الهدى، ويعصمك من الرَّدى، ألجِم هواك عن الفواحش، وأطلِقه في المكارم، فإنك تَبُرُّ بذلك سلفَك، وتُشيد شرفك"(٣)، ولتأكيد ذم الكبر والحسد وسوء الخلق، نقل لنا مقولة للعرب جاء فيها: "لا ثناء مع الكِبْر، ولا صديق لذي الحسد، ولا شرف لسيئ الأدب"(٤). وخبر آخر نقله في التحذير من الحسد، فقد ذكر أنه كان من ضمن الوصايا البليغة التي أوصى بها عبد الله بن شدَّاد لابنه عندما حضرته الوفاة: "أي بُنيّ، وإن سمعت كلمة من حاسد، فكن كأنك لست بالشاهد، فإنك إن أمضيتها حيالها، رَجَع العيب على من قالها، وكان يقال: الأريب العاقل، هو الفَطِنُ المتغافل"(٥).

ومن الأخلاق المذمومة التي يُتأكد التحذير منها المِراء؛ لِما له من آثار سيئة، وقد ذكره القالي في جملة الأخلاق السيئة فقال: قيل لبليغ: ما تقول في المِراء؟ قال: "ما عسى أن أقول في شيء يُفسد الصداقة القديمة، ويَحِلُّ العُقْدة الوثيقة، أقل ما فيه

(١) المرجع السابق ٢/ ١٦٤
(٢) التخمّط: التكبر (المرجع السابق ١/ ٩٣)
(٣) أمالي القالي ١/ ١٩٧
(٤) المرجع السابق ١/ ١٩٨
(٥) المرجع السابق ٢/ ٢٠٣

أن يكون دُرْبَةٌ للمغالبة، والمغالبة من أمتن أسباب الفتنة"[١].

وفي التحذير من البخل والتقتير، والحث على الجود والعطاء: أورد القالي مقولة الخليفة عبد الملك بن مروان رَحِمَهُ اللَّهُ: "يا بني أمية، ابذُلوا نَداكم، وكُفُّوا أذاكم، واعْفُوا إذا قدرتم، ولا تبخلوا إذا سئلتم، فإن خير المال ما أفاد حمداً أو نفى ذماً، ولا يقولَنَّ أحدكم ابدأ بمن تعول، فإنما الناس عِيال الله قد تكفّل الله بأرزاقهم، فمن وسّع أخلف الله عليه، ومن ضيّق ضيّق الله عليه"[٢].

ومن ذميم الخلق الذي نقل القالي التحذير منه العجلة والغضب والشراهة[٣]، ولكل منها آثار وخيمة في الفرد والمجتمع، قال أحد البلغاء: "لا يوجَد العَجول محموداً، ولا الغَضوب مسروراً، ولا الشَّرِهُ غنياً"[٤].

وحفظ اللسان عن الألفاظ النابية مما حث عليه الشارع، لذا كان الشتم والسباب من مساوئ الأخلاق التي حذَّر منها القالي، وفي ذلك نقل مقولة سعيد بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "ما شتمتُ رجلاً مذ كنتُ رجلاً"[٥]، فهذا الصحابي الجليل بمقولته هذا يُعلي من شأن قيمة اللسان العفيف الطاهر من الشتم والسباب، وهو ما ينبغي أن يربي المسلم نفسه عليه فالله تعالى يُبغض الفاحش البذيء[٦].

---

(١) المرجع السابق ١/ ٢٥٤

(٢) المرجع السابق ٢/ ٢٩

(٣) المرجع السابق ٢/ ٢٩

(٤) شراهة: جشع وطمع. (معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد، ١١٩٦/٢، مادة شَرِهَ، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨ م)

(٥) أمالي القالي ٢/ ٢٢١

(٦) حديث شريف رواه البخاري في صحيح الأدب المفرد ص١٧٧باب الرفق، برقم ٤٦٤

المبحث الرابع
وسائل الدعوة إلى الله في كتاب الأمالي

ومن القضايا الدعوية البارزة التي أشار إليها الإمام القالي في أماليه وسيلة الموعظة الحسنة، إذ سرد لنا عدداً من المواعظ البليغة ذاتِ الأسلوب البياني البديع، وفيها ترغيب في الفضائل، وحثٌّ عليها، وترهيبٌ عن الرذائل، وتحذيرٌ منها، حريّ بالداعية الإفادةُ منها في دعوته من حيث فحواها النافع، وأسلوبُها البلاغي. ولا يخفى على أحد أثر هذه المواعظ في ترقيق القلوب، وتوجيه المتلقّي نحو الخيرات، واستجابته وقبوله، فالداعية إلى الله إذا استخدم هذه الوسيلة فإنه سيجتذب إليه الأسماع، ويأخذ بمجامع القلوب ويلينها، وحينئذ تستقبل العقائد والأحكام بإذن الله ﷻ للعمل والتطبيق برغبة واشتياق(١).

ومن تلك المواعظ قولُ أحد البلغاء لأخ له: "اعلم أن الناصح لك المشفق عليك مَن طالع لك ما وراء العواقب برَوِيّته ونظره، ومثّل لك الأحوال المخوفة عليك، وخَلَطَ الوعر بالسهل من كلامه ومشورته، ليكون خوفُك كِفاء رجائك، وشكرك إزاء النعمة عليك، وأن الغاشَّ لك والحاطب عليك من مدّ لك في الاغترار، ووطَّأ لك مِهاد الظلم، تابعاً لمرضاتك، منقاداً لهواك"(٢). ففي هذه الموعظة بيان لضرورة العناية بالنصيحة، وأخْذِها بالاعتبار؛ إذ إنها لم تَصْدر إلا من ناصح محب مشفق حريص على النفع، بعيدِ النظر، عالمٍ بخفايا الأمور وعواقبها، ولا ينبغي استهجانُ هذا النصحِ، أو النفورُ منه مهما كان صريحاً أو قاسياً؛ فهذا الناصح لا يبغي إلا فَلاحَ المنصوح ونفْعَه، لا غِشَّهُ ومسايَرَته، وإن ما يُنتظر من المنصوح هو تقبّل نصحه، والعنايةُ بما ورد فيه،

(١) انظر: الدعوة ص١٦٣-١٦٤، الحكمة في الدعوة إلى الله، سعيد بن علي القحطاني، ٤٨٣/٢، الرياض، ط٣، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٢) أمالي القالي ١/ ١٩٥

وتطبيقُه في حياته. قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "الواجب قبول نصيحة الأخ المشفق، وأن مخالفته وَبالٌ ودمار على مَنْ رد النصيحة الصحيحة"(١)، قال ﷺ: "الدِّين النَّصيحة"(٢)، فوَجَبتْ هذه النصيحة من الصَّغير للكبير، ومن الكبير للصَّغير، ولا ينبغي لأحد أن يتكبّر عند قبول الحق من الصغير والكبير والجاهل والعالم(٣).

ومن المواعظ التي ساقها الإمام القالي موعظةٌ في التقليل من شأن الدنيا، والتزهيد فيها، والتنفير من كل شأنها، فرُوي أن رجلاً سأل عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: صِفْ لنا الدنيا، فقال: "وما أَصِفُ لك من دار أولها عَناء، وآخرها فَناء، مَنْ صحَّ فيها أَمِنَ، ومن سَقِمَ فيها نَدِمَ، ومن افتقر فيها حَزِن، ومن استغنى فُتن، حلالها حساب، وحرامها عذاب"(٤)، وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، فالعيش في هذه الدار الفانية، تَغُرُّ الإنسان بما تُمَنِّيهِ مِنْ طولِ البقاء، وسينقطع عن قريب. فَوُصِفت بأنها متاعُ الغرُور؛ لأنها بمنزلة مَنْ يَغُرّ ببَذْل المحبوب، والتخييلِ إليك أنه يَدُوم(٥)، فما خُلقنا في هذه الدنيا إلا للتقرب إلى الله تعالى بأداء العبادات، وبَذْل الطاعات، وتقديمِ القربات، لا

(١) البداية والنهاية ٢/ ٥٧٧

(٢) صحيح مسلم ١/ ٧٤ ت عبد الباقي كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، برقم ٩٥

(٣) الكنز الأكبر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ابن داود الحنبلي، تحقيق: د. مصطفى صميدة، ص١١٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

(٤) أمالي القالي ٢/ ١٢٠

(٥) التفسير البسيط، أبو الحسن علي الواحدي، ٦/ ٢٣٤، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بتنسيقه، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠هـ.

للاغترار بطِيب العيش والهناءة والراحة فيها؛ فهي عند الله لا وزن لها ولا قيمة. وفي الحديث: "لو كانت الدنيا تَعْدِل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شَربة ماء"(١)، وقال رسول الله ﷺ: "موضع سَوْطِ أحدِكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها"(٢)، وقد كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى رضي الله عنهما: "إنك لن تنال عمل الآخرة بشيء أفضلَ من الزهد في الدنيا"(٣).

ولِما جُبِل عليه الأب من شفقة ورحمة وعطف كان لوعظه أعمقُ الأثر في نفس ولده؛ لذا سرد لنا القالي عدداً من المواعظ في هذا الباب؛ حَثًّا للآباء على بَذْل الوعظ لأبنائهم، وترغيباً للأبناء في الإفادة من مواعظ آبائهم والعناية بها. ومن ذلك أن أحد البلغاء وعظ ابناً له قد أفسد ماله في الشراب فقال: "لا الدَّهرُ يَعِظُكَ، ولا الأيام أيام تُنذرك، والساعات تُعَدّ عليك، والأنفاس تُعَدُّ منك، أحبّ أمرَيك إليك، أَرَدُّهما بالمضرَّة عليك"(٤)، فلا ينتظر المرء أن يُبتلى في دهره بما يوقظه من سُبات غفلته، ولا يرقب الأيام أن تنبّهه بمصيبة على زلَلِه، بل ليحاسب نفسه أولا بأول ولْيَلُمْها على ما بَدَر منها من قصور تجاه ربها، فالموت لا يُنذر قبل حُلُوله، ولا يطرق الأبواب قبل قدومه.

ومن ذلك أيضاً ما أوصى به عُمير بن حبيب(٥) بنيه، فقال: "يا بَنِيَّ، إياكم ومُخالطةَ

(١) المستدرك على الصحيحين ٣٤١/٤، كتاب الرقاق، برقم ٧٨٤٧، قال الذهبي: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ٣٥، كتاب الجهاد والسير، باب فضل رباط يوم في سبيل الله، برقم ٢٨٩٢.

(٣) الزهد، وكيع بن الجراح، حققه وقدم له وخرج أحاديثه وآثاره: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، ص٢٢٠، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٤ هـ/١٩٨٤م.

(٤) أمالي القالي ١/ ١٩٥

(٥) صحابي، بايع النبي ﷺ تحت الشجرة. (الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن حجر العسقلاني، العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ٤/ ٥٩٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ)

السفهاء، فإن مجالستهم داء، وإنه مَن يَحْلُمْ عن السفيه يُسَرَّ بحِلْمه، ومن يُجبْه يندم، ومن لا يُقِرَّ بقليلِ ما يأتي به السفيه يقِرَّ بالكثير، وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر، فليُوَطّن قبل ذلك على الأذى، وليوقِنْ بالثواب من الله ﷻ. إنه من يوقنْ بالثواب من الله ﷻ لا يجدَ مَسَّ الأذى"(١). وهي وصية بليغة في طريقة التعامل مع السفيه، وأهميةِ الإعراض عنه، ووبالِ من فكّر في مخالطته ومسايرته في دائه. والسّفَهُ هو خِفَّة العقل، والجهل بالمأمور(٢)، والسفيه هو المُتناهي في ضعف العقل وفساده(٣).

ثم أشار إلى شعيرة عظيمة وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونبّه على أن مَن انبرى لحمل لوائها فليكن مستعداً لتحمُّل الأذى؛ فهو نتيجة ملازِمَةٌ للمؤدّي لهذه الشعيرة، ثم قدّم ما يخفّف مِن وَقْع ذلك الأذى على النفس، وهو اليقين بثواب الله ومرضاتِه. وقد بيّن تعالى تَرتُّب الأذى على الآمِرِ بالمعروف والناهي عن المنكر في الآية الكريمة: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ ﴾ [لقمان: ١٧]، قال مقاتل بن سليمان رَحِمَهُ اللَّهُ: "إن ذلك الصبر على الأذى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من حق الأمور التي أمر الله ﷻ بها وعزم عليها"(٤). وقال ابن عطية: "يحسُن لكل مؤمن أن يحتمل في

(١) أمالي القالي ٢/ ٥٧

(٢) انظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ١/ ١١٢، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

(٣) أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله بن العربي، ١/ ٣٣١، مراجعة محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله شحاته، ٣/ ٤٣٥، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

تغيير المنكر، وإن ناله بعض الأذى"[١].

ومن الوصايا الأبوية المؤثرة التي نقلها لنا القالي رَحِمَهُ اللَّهُ وصيةُ عبد الله بن شَدَّاد[٢] لابنه لمّا حضرته الوفاة، وفيها بيان للمكانة العالية للعبادات القلبية في الشرع الإسلامي كالتقوى والشكر والإخلاص، وتأكيد أنهم الذُّخر لكل مؤمن بعد رحيله المحتّم من دار الفناء إلى دار البقاء، فقد قال له: "يا بُنَي، إني أرى داعيَ الموت لا يُقْلِع، وأرى مَنْ مضى لا يَرْجِع، ومَنْ بَقِيَ فإليه يَنْزِع، وإني موصيك بوصية فاحفظْها، عليك بتقوى الله العظيم، وليكن أولى الأمور بك شكرَ الله، وحُسْن النية في السر والعلانية، فإن الشكور يزداد، والتقوى خير زاد"[٣].

ومن المناسبات التي ينبغي للداعية استغلالُها في الوعظ وقتُ شهود الجنازة؛ ففي ذلك الوقت تكون النفسُ ذليلة منكسرة متقبّلة للوعظ، زاهدةً في الدنيا ومتاعها الفاني. ومن تلك الشواهد موعظة الحسن البصري للفرزدق، وفيها ترغيب في التوبة والإنابة، وترهيب من الموبقات والكبائر، فقد رُوِي أن الفرزدق والحسن حضرا جنازةً، فقال الحسن للفرزدق: يا أبا فراس، ما أعددتَ لهذا اليوم؟ قال: شهادةَ أن لا إله إلا الله، ثم قال: يا أبا سعيد، هل إلى التوبة من سبيل؟ قال: إي والله، إن باب التوبة لمفتوح من قِبَل المغرب عرضه أربعون، لا يُغلق حتى تطلع الشمس من قِبَله، قال: يا أبا سعيد، فكيف أصنع بقَذْف المحصنات؟ قال: تتوب الآن، وتعاهد الله ألَّا تعودَ، قال: فإني أعاهد الله ألا أقْذِفَ، أو أَسُبَّ محصنةً بعد يومي هذا[٤].

وخُطبة الجمعة من الوسائل الدعوية التي يَحْسُن بالداعية استثمارُها بالوعظ

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، ١/ ٤٨٦، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

(٢) المدني ثم الكوفي، تابعي، ثقة. (انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٨٨)

(٣) أمالي القالي ٢/ ٢٠٢

(٤) المرجع السابق ٢/ ٣٠٨

والتذكير؛ لفَرْضية حضور جمهورها، وتنوُّعِهم، وتكرارِ وقتها أسبوعياً. ولأهميتها أورد القالي في أماليه أمثلةٌ على الوعظ في خُطَب الجمعة، فذكر أن خطيباً بليغاً قال في إحدى خطبه يوم الجمعة بعد حَمْد الله والثناء عليه، حاثّاً الناسَ على تقوى الله تعالى مزهّداً لهم في الدنيا، مُرَغّباً لهم فيما عند الله تعالى: "أما بعد، فإن الدنيا دار بلاغ، والآخرة دار قرار، فخذوا لمَقَرّكم من مَمَرّكم، ولا تهتِكوا أستاركم عند مَنْ لا تَخْفَى عليه أسراركم، وأَخْرِجوا من الدنيا قلوبكم، قبل أن تخرج منها أبدانكم، ففيها حُييتم، ولغيرها خُلقتم. إن الرجل إذا هلك، قال الناس ما تركْ؟ وقالت الملائكة ما قدّم؟ قدِّموا بعضاً، يكنْ لكم قرضاً، ولا تخلفوا كُلّاً، يكن عليكم كَلًّا"(١).

ومن القضايا الدعوية التي أورد عنها القالي أخباراً وعظية دعوة غير المسلمين؛ ترغيباً في هذه الشعيرة المباركة، وحثاً على بذل الُوسع في هذا الميدان الدعوي، رجاءَ نيلِ الأجر والثواب المذكور في الحديث الشريف: "واللهِ لَأَن يهديَ الله بك رجلاً خيرٌ لك من أن يكون لك حمْرُ النَّعم"(٢).

وتُدُرج مصنفات تراجم الصحابة اسم صحابي من اليمن اسمه خُنافر بن التوءم قال الحافظ ابن حجر في الإصابة: "كان كاهناً من حِمْيَر، ثم أسلم على يد معاذ بن جبل، وله خبر حسن من أعلام النبوة، في إسناده مقال"(٣). وقد أورد القالي(٤) النصَّ

(١) المرجع السابق ١/ ٢٥٤

(٢) صحيح البخاري ٤/ ٦٠، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل، برقم ٣٠٠٩

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٣٠٥، وانظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين بن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، عادل عبد الموجود، ١٨٨/٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد البر، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ٥٩٢/٢، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، مصر، ط١، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م.

(٤) انظر: أمالي القالي ١/ ١٣٥

الكامل للخبر الذي ورد مختصراً في مصنفات تراجم الصحابة، وشَرَحَه مفصلاً في أماليه. وفي هذا الخبر أن هذا الكاهنَ أُوتي بَسْطة في الجسم، وسَعة في المال، وكان عاتياً، فلما وَفَدَت الوفود إلى اليمن عن النبي ﷺ، وظهر الإسلام، أغار على إبل لقبيله مراد، فاكتسحها، وكان له في الجاهلية رَئِيٌّ –وهو التابع من الجن يخبره بالتنبؤات، ويجد حِسّه، ويرى خياله[١]– وقد فَقَدَه بعد البعثة النبوية. ثم جاءه الرَئِيٌّ بعد زمن طويل، وأخبره بقوله: "خِطابٌ كُبَّار جاء من عند الملك الجبار، وهو فُرقانٌ بين الكفر والإيمان، أتى به رسولٌ من مُضَرَ ابتُعِث فظهر، فجاء بقول قد بَهَر، وأوضح نهجاً قد دَثَر، فيه مواعظ لمن اعتبر، وهو أحمدُ خير البشر".

ثم قال له رَئِيُّه: "فآمنتُ يا خُنافر، وأقبلت إليك أُبادر، فجانِبْ كل كافر، وشايعْ كل مؤمن طاهر، وإلا فهو الفراق". فقال خُنافر: "فاحتملتُ بأهلي، فرددتُ الإبل على أهلها، ثم أقبلتُ إلى معاذ بن جبل بصنعاء، فبايعتُه على الإسلام، وعَلَّمَني سوراً من القرآن"[٢].

وتتحدث كتب التاريخ عن أخبار الكهان في الجاهلية[٣]، فقد كان لهم شأن في المجتمع قبل الإسلام، وكانوا يتحدثون عن قُرب مبعث نبي يدعو للهدى، وكان في حديثهم إرهاصات بأعلام النبوة، كما قال الحافظ ابن حجر[٤]، وخبر خُنافر بن التوءم الذي أورده القالي مطولاً يندرج ضمن هذا السياق، فقد أسلم الكاهن على يد الصحابي معاذ بن جبل مبعوثِ النبي ﷺ إلى اليمن هادياً لأهلها.

كما اعتنى رَحِمَهُ اللَّهُ بالحديث عن وسيلة الرسالة، وهي من وسائل الدعوة التي يستخدمها

(١) انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، ٣١٣/١٢، دار الساقي، ط٤، ١٤٢٢هـ.
(٢) انظر: أمالي القالي ١/ ١٣٥
(٣) انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣١٥/١٢
(٤) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٣٠٥

الدعاة بغرض الوعظ والنصح والتذكير، فأورد عدداً من الرسائل الدعوية التي أرسلها أصحابها، من ذلك رسالة علي بن أبي طالب إلى ابن عباس، وفيها تقليل من شأن الدنيا وملذاتها، وإعلاءٌ من شأن الآخرة وقُرُباتها، ودعوةٌ إلى الاستعداد للقاء الله تعالى. عن ابن عباس ﷺ، أنه قال: كتب إليّ عليّ بن أبي طالب، ﷺ، بموعظة ما سررتُ بموعظةٍ سروري بها: "أما بعدُ، ما نالك من دنياك فلا تُكثِر به فرحاً، وما فاتك منها فلا تُتْبِعْهُ أَسَفاً، فلْيَكُن سرورك بما قَدَّمْتَ، وأَسَفُك على ما خَلَّفْت، وهمُّك فيما بعد الموت"(١).

ومن الرسائل التي نقلها الإمام في أماليه وفيها موعظة في الاستعداد للموت قبل فوات الأوان، وتَرْكِ التسويف، ما كتبه عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أبي بكر بن حزم –وهو والي المدينة من جهته–: "إن الطالبين الذين أنجحوا، والتجَّار الذين ربحوا، هم الذين اشتروا الباقي الذي يدوم، بالفاني المذموم، فاغتبَطوا ببيعهم، وأَحْمَدوا عاقبة أمْرِهم، فاللهَ اللهَ، وبدنُك صحيح، وقلبُك مريح، قبل أن تنقضيَ أيامُك، وينزل بك حِمامُك، فإن العيش الذي أنت فيه يتقلّص ظِلُّه، ويفارقه أهله، فالسعيد الموفق مَنْ أكل في عاجله قصداً، وقدّم ليوم فقره ذخراً، وخرج من الدنيا محموداً، قد انقطع عنه علاجُ أمورها، وصار إلى الجنة وسرورِها"(٢).

وفي مُكنة الدعاة أن يَرْشُفوا من أمالي القالي في خطابهم الدعوي لترقيق القلوب واستمالة المدعوين، ففي "الأمالي" مَعينٌ واسع، وكنوزٌ بيانية فيها خير عميم.

(١) أمالي القالي ٢/ ٩٤

(٢) المرجع السابق ٢/ ١٨٤، وانظر: نثر الدر في المحاضرات، أبو سعد الآبي، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، ٨٣/٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

المبحث الخامس
علاقة الداعية بالدعاة والمدعوين في كتاب الأمالي

سعى الإسلام في إرساء العلاقات الاجتماعية بين الدعاة والمدعوين على أسس متينة، وأبرز مكانتها في عدة مواضع في نصوص الوحيين، وتطبيقات السيرة النبوية، وبيّن أهميتها في آداب الدعوة ومساربها، وما اتخاذ رسول الله ﷺ أبا بكر ﷺ رفيقاً في الهجرة، ونقْل تفاصيل تلك الأخوة الطيبة في القرآن الكريم، والمؤاخاة النبوية بين المهاجرين والأنصار إلا غيضٌ من فيضٍ من الأدلة الشرعية في هذا الباب الواسع المبارك. وهذا ما جعل الإمام القالي يعتني بموضوع العلاقات الاجتماعية، وينقل لنا أخباراً بليغةً في تأكيد أهميتها وعمق أثرها في المجتمع.

وقد نقل لنا القالي أخباراً تُوضّح أن من أهم أسس الأخ المساند في مسارب العلاقات الاجتماعية الوفاء، والكرم، وإسداء النفع ودفع الضر، وبذل النصيحة، والمسارعة في الخيرات، والشكر على ما قُدّم له، فكل تلك الخصال إن حَرَص عليها أفراد المجتمع كان حريّا أن يكونوا من خير السالكين في طريق الآداب الاجتماعية. ومن تلك الأخبار: أن أحد البلغاء ذكر رجلا فقال: "كان والله للإخاء وَصُولاً، وللمال بَذولاً، وكان الوفاء بهما عليه كفيلاً، ومن فاضله كان مفضولاً"(١). وقال زياد: "ما رأيت مثل الربيع بن زياد رجلاً، وما كتب إليّ كتابا قط إلا في جَرِّ منفعة، أو دَفْعِ مضرة، ولا سألتُه عن شيء قط إلا وجدتُ منه عنده علماً، ولا نظرته في شيء إلا وجدته قد سبق على الناس فيه"(٢). وقال حكيم: "خير الإخوان مَنْ يُنيل عُرْفاً، أو يدفع ضراً"(٣). وقال

(١) أمالي القالي ١/ ١١٦
(٢) المرجع السابق ١/ ٢٠٧
(٣) المرجع السابق ٢/ ٣٨

الأحنف بن قيس: "إن الله جعل أسعد عباده عنده وأرشدهم لديه وأحْظاهم يوم القيامة، أبْذَلَهم للمعروف يداً، وأكثرهم على الإخوان فضلاً، وأحسنهم له على ذلك شكراً[١].

ومن أهمية وجود العلاقة الأخوية في الحياة أن عَدَّ أحدُ الحكماء فَقْدَ الأخ من أعظم المصائب فقال: "أَكْلَم المصائب فَقْدُ خليل لا عِوَضَ منه"[٢]. وها هو أحد البلغاء يَعُدّ أن قضاء الوقت النافع جدّاً أو هزلاً مع الرفاق هو من أكثر أمور الحياة متعة، وعَدَّهم من خير المكاسب الدنيوية، فقد سئل بليغٌ: أي شيء أمتع؟ فقال: "ممازحة المحبِّ، ومحادثة الصديق"[٣]. كما قال شبيب بن شيبة[٤]: "إخوان الصدق خير مكاسب الدنيا، هم زينة في الرخاء، وعدة البلاء، ومعونة على حسن المعاش والمعاد"[٥].

وفي باب الحديث عن طبيعة العلاقات بين الناس، تحدث القالي عن طبيعة العلاقة بين الصالحين، وطبيعتها بين الأشرار، فالصالحون تدوم علاقاتهم وإن شابها ما شابها على مر السنين، أما الأشرار فعلاقاتهم واهية ضعيفة، يقطعها أدنى سبب، وأصغر خطأ، ولقد شبّه كل علاقة بتشبيه بليغ مناسب لها. كما أشار إلى طباع الكرام واللئام، واختلافهم في حفظ الود، فالكريم يحفظ المودة من موقف واحد، أما اللئيم فلا قيمة عنده للعلاقات الوُدّية، وهو إنْ حَفِظَها، حَفِظَها رغبة أو رهبة. وفي كلامه هذا إشادة بخُلُقَي الصدق والوفاء. قال الإمام القالي: "وُجد في الحكمة: رأيتُ المودة بين الصالحين سريعاً اتصالها، بطيئاً انقطاعها، ككُوب الذهب، سريع الإعادة إن أصابه

(١) المرجع السابق ١/ ٢٤١
(٢) أمالي القالي ١/ ٢١٤
(٣) المرجع السابق ١/ ٢١٤
(٤) التميمي، نديم ملوك بني أمية، شريف من الدهاة، توفي سنة ١٧٠هـ (انظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، ١٥٦/٣، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م)
(٥) أمالي القالي ٢/ ٣٩

ثَلْمٌ أو كَسْرٌ، ورأيت المودة بين الأشرار بطيئاً اتصالها، سريعاً انقطاعها، ككُوب الفخَّار، إن أصابه ثَلْمٌ أو كَسْرٌ فلا إعادة له، ورأيت الكريم يحفظ الكريم على اللِّقاءة الواحدة ومعرفة اليوم، ورأيت اللئيم لا يحفظ إلا رغبة أو رهبة"(١).

ونقل لنا القالي وصيةً تتصل بأخلاقيات العلاقات بين الناس وهي وصية محمد بن علي بن الحسن لعمر بن عبد العزيز ﷺ لمَّا استوصاه، فقال: "أوصيك أن تتخذ صغير المسلمين ولداً، وأوسطهم أخاً، وكبيرهم أباً، فارْحَمْ ولدك، وصِلْ أخاك، وبُرَّ أباك، وإذا صنعتَ معروفا فَرَبّه. قوله: فَرَبّه أي أَدِمْهُ"(٢). فاحترام الجميع على اختلاف أعمارهم، ومعاملة كل منهم بما يناسب عمره، مع إدامة صناعة المعروف وتقديمه، مما يُحمد فاعله، ويُشكر باذله.

ويحث الإمام القالي على التغافل في العلاقات الأخوية، فكثرة العتاب وابتغاء الكمال في الصديق مما يقلل عدد الأصدقاء على مر الأيام، فطبيعة البشر الوقوع في التقصير والخطأ، مع مراعاة عدم إغفال النصح والتوجيه في الزمان والمكان المناسبين. قال أحد البلغاء: "من عاتب على كل ذنب كَثُر عدوه، ومن لم يُؤَاخ من الإخوان إلا مَنْ لا عيب فيه قَلّ صديقه"(٣). وقال شبيب بن شيبة لخالد بن صفوان: "من أحبُّ إخوانك إليك؟ قال: مَنْ سدَّ خَلَلِي، وغَفَر زَلَلِي، وقَبِلَ عِلَلِي"(٤).

وقضاء حوائج العباد من العبادات التي حث عليها شرعنا؛ لذا حَرَص الصالحون على تقديمها لإخوانهم في المجتمع المسلم، وينقل لنا القالي خبراً بليغاً حول ذلك، فعن ميمون بن هارون قال: كان عندنا بالبصرة رجل يُتعِب دوابّه وغلمانه في قضاء حوائج

(١) المرجع السابق ١/ ٢٤٠
(٢) المرجع السابق ٢/ ٣٠٨
(٣) أمالي القالي ١/ ٢١٤
(٤) المرجع السابق ١/ ١٩٥

الناس بغير مَرْزِيَة –أي بغير أن يرزأ الناس شيئاً، أي يأخذ منهم أجراً على قضاء حوائجهم– فسألته عن ذلك فقال: "يا أبا عثمان، سمعتُ تغريد الأطيار بالأسحار، في أعالي الأشجار، فما طربت طربي على ثناء رجل أحسن إليه رجل"(١). ولأهمية قضاء الحوائج ذكر لنا القالي قول لقمان الحكيم: "لا يُعرف أخوك إلا عند حاجتك إليه"(٢).

ولأهمية التوازن في المشاعر تجاه العلاقات الأخوية بين الأفراد أوصى عبد الله بن شداد ابنه لما حضرته الوفاة فقال له: "أي بُنيّ، إذا أحببت فلا تُفْرِط، وإذا أبغضت فلا تَشْطِطْ، فإنه قد كان يقال: أحبب حبيبك هَوْناً ما، عسى أن يكون بغيضَك يوماً ما، وأبْغِض بغيضك هَوناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما"(٣). ويؤكد القالي أهمية مشاورة الأخ وبذل الرأي السديد له، مع مواساته وقت الشدائد.

قال أحد البلغاء: "ما استُنْبِط الصواب بمثل المشاورة، ولا حُصّنَتْ النّعَمُ بمثل المواساة"(٤).

ويتناول القالي في حديثه عن العلاقات أُسُسَ بنائها؛ فما يقوم على أساس راسخ متين يُكتب له الدوام والنجاح، ومن تلك الأسس ما وضّحه محمد بن كعب القرظي لعمر بن عبد العزيز ﷺ فقد قال له: "لا تتخذنّ وزيراً إلا عالماً، ولا أمينا إلا بالجميل معروفا، وبالمعروف موصوفا، فإنهم شركاؤك في أمانتك، وأعوانك على أمورك، فإن صلحوا أصلحوا، وإن فسدوا أفسدوا"(٥).

وإن عناية الدعاة بعلاقاتهم الاجتماعية بين بعضهم البعض من جهة، وبينهم

---

(١) ذيل أمالي القالي ٦٤٤

(٢) أمالي القالي ٢/ ١٧٩

(٣) المرجع السابق ٢/ ٢٠٤

(٤) المرجع السابق ٢/ ٣٠

(٥) أمالي القالي ٢/ ٢٩

وبين المدعوين من جهة أخرى، والحرص على تقوية أواصر رابطتها، وصيانتها من كل ما يخدش صفاءها، من عوامل نجاح الدعوة، وضمان وصولها إلى مبتغاها، وعوناً لها على تحقيق أهدافها.

□

الخاتمة

أحمد لله الذي تفضّل علي بالتيسير والإعانة على إتمام هذا البحث، الذي استقرأتُ فيه بعض قضايا علم الدعوة، وسبرتُ شواهد عنه من كتاب أدبي رائق، يُعدّ واحداً من أربعة كتب هي أركان الأدب العربي. قال ابن خلدون: "إنّ أصول فنّ الأدب وأركانه هم: ابن قتيبة، والمبرّد، والجاحظ، وأبو عليّ القالي"(١).

وإن الحرص على رقي أسلوب الداعية وفصاحة منطقه هو منهج نبوي، سار عليه السلف الصالح، ومن تلاهم من خَلَف خيّر، وكان لذلك الأسلوب أثرٌ مشرق؛ جذباً وإقناعاً بالمضامين الدعوية والخطابات الشرعية على مر الأزمان والعصور.

وبعد هذه الدراسة اتّضح بجلاءٍ أن من المهم أن يعتني الدعاة في طرحهم الدعوي بالأسلوب التي يجذب المدعوين، ويستميل قلوبهم، ويقنع عقولهم، ويشنّف أسماعهم، ويُعينهم على تطبيق ما تلقوه من توجيهات ومواعظ من الداعية. وإن فصاحة الداعية وبلاغ حديثه هو بشرى لفتح رباني نتاجه عظيم بإذنه تعالى.

أولا: النتائج

من أبرز النتائج التي خرجتُ بها من هذه الدراسة:

١- ضرورة استفادة الداعية من كتب الأدب العربي الفصيح، واستقراء ما فيها من أخبار بليغة تُقَوّم لسانه، وتهذّب جَنانه، فتغدو مَلَكَته اللغوية أكثر غَناءً، وأوسع ثراءً.

٢- أهمية تعلّم الداعية للأساليب البليغة في الدعوة إلى الله، واستخدامها في

(١) انظر: العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، المعروف بـ "تاريخ ابن خلدون"، عبد الرحمن بن خلدون، ١/ ٧٦٣، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: أ. خليل شحادة، مراجعة: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

الخطاب الدعوي.

٣- حِرصُ الداعية على تطوير ذاته، وتأهيلِ نفسه في مختلف الجوانب العلمية والثقافية والبيانية، مع تأكيد التوازن في كل جانب.

٤- اهتمام الداعية بالجانب الإيماني؛ لأنه الأساس الذي ترتكز عليه دعوته وتقوم عليه.

٥- تأكيد التزام الداعية بالجانب الأخلاقي؛ لأثره العميق في إنجاح الدعوة، واستمالة المدعوين واستجابتهم.

٦- الموعظة الحسنة والرسالة وخطبة الجمعة نماذج لوسائل دعوية ناجعة لها أكبر الأثر في وصول الدعاة إلى ما يرومونه من غايات سامية.

٧- العناية بعلاقة الداعية بالمجتمع دعاةً ومدعوين، والحرص على تطوير هذه العلاقة، وحمايتها مما يكدّرها أو يسيء إليها.

ثانيا: التوصيات

١- أُوصي الدعاة بأن يهتموا بقراءة الكتب الأدبية التي تقوّم ألسنتهم، وتُثري لغتهم العربية، وتطور مَلَكاتهم الأدبية في التعبير اللفظي والكتابي، ليكون أثرهم الدعوي أعمق وأوسع.

٢- كما أوصي الباحثين في علم الدعوة بدراسة كتب الأدب العربي، والإفادة منها من حيث أسلوبها البليغ، وما فيها من أخبار تساهم في تطوير المجال الدعوي.

٣- أن يكون في مناهج كليات الدعوة مثل هذه الكتب الأدبية اللغوية التي تعرض نصوص البلغاء الفصحاء في موضوعات تتصل بالأفراد والمجتمعات.

٤- إنشاء دوراتٍ تثقيفية تُعنى بكتب الأدب، وطرائق البلاغة الراقية، وذلك من خلال الذخر الأدبي العريض المركوز في التراث العربي.

المصادر والمراجع

١- أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله بن العربي، مراجعة محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.

٢- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ /١٩٩٣م.

٣- الاستذكار، يوسف بن عبد الله القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٤- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد البر، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، مصر، ط١، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م.

٥- أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين بن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٦- الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، د. عبد الرحيم المغذوي، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

٧- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.

٨- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تقديم وتعليق: أبو عبيدة مشهور بن حسن، شارك في التخريج: أحمد عبد الله أحمد، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ.

٩- الأعلام. خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.

١٠- إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، تحقيق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨م.

١١- أمالي القالي، أبو علي القالي، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٤٤هـ /١٩٢٦م.

١٢- إنباه الرواة على أنباه النحاة، علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٢م.

١٣- الأنساب، عبد الكريم بن محمد السمعاني، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ط١، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.

١٤- البحث العلمي، حقيقته ومصادره ومادته ومناهجه وكتابته وطباعته ومناقشته، عبد العزيز الربيعة، ط٢، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٨هـ.

١٥- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

١٦- البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

١٧- البيان والتبيين، الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

١٨- تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط١، ١٩٦٠م.

١٩- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٢٠- تاريخ علماء الأندلس، ابن الفرضي، عني بنشره؛ وصححه؛ ووقف على طبعه: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٢١- التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

٢٢- التفسير البسيط، أبو الحسن علي الواحدي، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بتنسيقه، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠هـ.

٢٣- تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

٢٤- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد في حديث رسول الله ﷺ، ابن عبد البر القرطبي، تحقيق وتعليق: بشار عواد معروف، وآخرون، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ط١، ١٤٣٩هـ / ٢٠١٧م.

٢٥- التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن، تحقيق دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث بإشراف خالد الرباط، جمعة فتحي، دار النوادر، دمشق، سوريا، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨ م.

٢٦- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، تحقيق د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض.

٢٧- جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر بن عاشور، جمعها وقرأها ووثقها: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

٢٨- الحكمة في الدعوة إلى الله، سعيد بن علي القحطاني، الرياض، ط٣، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٢٩- الدعوة، د. حمد العمار، كنوز إشبيليا، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٣٠- ذيل الأمالي، أبو علي القالي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٤٤٥/ ٢٠٢٣م.

٣١- الزهد، وكيع بن الجراح، حققه وقدم له وخرج أحاديثه وآثاره: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٤ هـ/١٩٨٤م.

٣٢- سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، شرح أبو عبيد البكري، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م.

٣٣- السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، تحقيق: وائل بن حافظ بن خلف، دار البشير للثقافة والعلوم، ط١.

٣٤- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

٣٥- سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد الذهبي، إشراف: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٣٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي الحنبلي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣٧- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ /١٩٨٧م.

٣٨- صحيح الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٣٩- صحيح البخاري "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه"، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة السلطانية، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، ١٣١١هـ.

٤٠- صحيح مسلم "الجامع الصحيح"، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.

٤١- العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، المعروف بـ "تاريخ ابن خلدون"، عبد الرحمن بن خلدون، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: أ. خليل شحادة، مراجعة: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٤٢- عدة الداعية المسلم، الشريف حمدان الهجاري، القاهرة، دار الهدى للنشر والتوزيع، ١٩٩٢م.

٤٣- العقد الفريد، ابن عبد ربه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

٤٤- غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، ط١، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

٤٥- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، المكتبة السلفية، مصر، ط١، ١٣٨٠/ ١٣٩٠هـ.

٤٦- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، شرف الدين الطيبي، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم ٤٧- سلطان العلماء، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٤٨- فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، سعيد بن علي القحطاني، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط١، ١٤٢١هـ.

٤٩- الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي، تحقيق: عادل الغرازي، دار ابن الجوزي،

السعودية، ١٤٢١هـ.

٥٠- فيض القدير، زين الدين المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

٥١- كتاب التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ضبطه وصححه: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٥٢- الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥٣- الكنز الأكبر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ابن داود الحنبلي، تحقيق: د. مصطفى صميدة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٥٤- لسان العرب، جمال الدين بن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.

٥٥- مجمع الأمثال، أبو الفضل النيسابوري، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٥٦- مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين، محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان، دار الوطن، دار الثريا، الطبعة الأخيرة، ١٤١٣هـ.

٥٧- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٥٨- مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، دار عطاءات العلم، بيروت، ط٢، ١٤٤١هـ/٢٠١٩م.

٥٩- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، مع تضمينات: الذهبي في التلخيص والميزان والعراقي في أماليه والمناوي في فيض القدير وغيرهم، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٦٠- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.

٦١- معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨ م.

٦٢- المُعْلم بفوائد مسلم، محمد بن علي التَّمِيمي، تحقيق: الشيخ محمد الشاذلي، الدار التونسية للنشر.

٦٣- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، دار الساقي، ط٤، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٦٤- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أحمد بن عمر القرطبي، حقّقه وعلّق عليه وقدّم له: محيي الدين ديب ميستو، أحمد محمد السيد، يوسف علي بديوي، محمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٦٥- مناقب الشافعي للبيهقي، تحقيق السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٦٦- مناهج البحث العلمي، د. محمد سرحان المحمودي، دار الكتب، اليمن، صنعاء، ط٣، ١٤٤١هـ/٢٠١٩م.

٦٧- مناهج التأليف عند العلماء العرب، مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٤م.

٦٨- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٦٩- نثر الدر في المحاضرات، أبو سعد الآبي، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

٧٠- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب،

أحمد بن محمد المقري، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٠٠/١٩٩٧م.

٧١- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٧٢- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٠٠/ ١٩٩٤م.

فهرس المحتويات

المقدمة ٦٩٥
التمهيد ٧٠١
أولا: التعريف بالإمام أبي علي القالي، وكتابه الأمالي ٧٠١
أ- التعريف بالإمام أبي علي القالي ٧٠١
ب- التعريف بكتاب الأمالي: أهميته ومضمونه ٧٠٥
ثانيا: الإعداد البياني للداعية ٧١٠
المبحث الأول: صلة الداعية بالله تعالى في كتاب الأمالي ٧٢٠
المبحث الثاني: الإعداد العلمي للداعية في كتاب الأمالي ٧٢٣
المبحث الثالث: الإعداد الخُلُقي للداعية في كتاب الأمالي ٧٢٨
المبحث الرابع: وسائل الدعوة إلى الله في كتاب الأمالي ٧٣٦
المبحث الخامس: علاقة الداعية بالدعاة والمدعوين في كتاب الأمالي ٧٤٤
الخاتمة ٧٤٩
المصادر والمراجع ٧٥١
فهرس المحتويات ٧٥٩